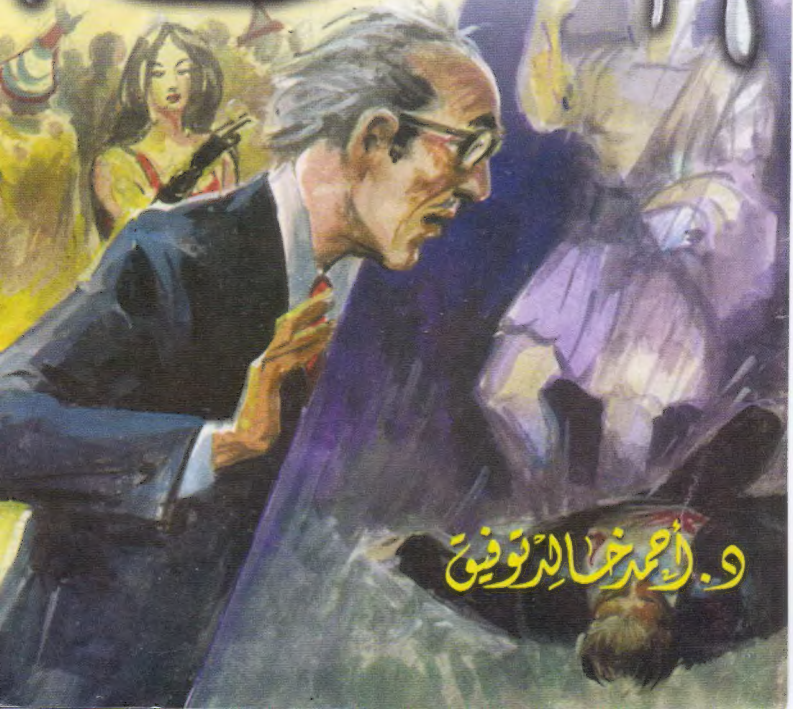


روايات مصرية للجيب



52

ما وراء الطبيعة أسطورة مملة



و. أحمد خنيس التوفيق

ما وراء الطبيعة

روايات تحبس الأنفاس
من فرقة القموش والريح واللا

روايات مصرية للجيب

أسطورة مملة

القصة التي نحن بصددتها هي

أسطورة مملة .. أسمع البعض يقول

وهو يتثأب : وما الجديد في هذا ؟ .. البعض

الأخر يتساءل في خبث : وماذا كنت تفعل في كل

الكتيبات السابقة إذن ؟ .. البعض يعتقد أنها دعاية

وأننى أخرج بهذا القواعد .. البعض يعتقد أننى -

فقط - أتحدلق ..

الحقيقة أنه لا مزاح في الأمر .. إن أسطورة اليوم

مملة .. وحين يعدكم (رفعت) إسماعيل

باسطورة مملة فإنه يعنى ما يقول ..

لماذا هي مملة ؟ الجواب واضح

تماماً لأن



د. أحمد خالد



طباعة ونشر
ؤسسة العربية الحديثة

للطباعة والنشر والتوزيع
٢٨١١٩٧ - ١٨٣٥٥٥ - ٥٩٠٨٤٥٥

فاكس ٢٨٣٧٠٠٦٠

الضمن في م
وما يعادله بالد
في سائر الدول

العدد القادم :
أسطورة النبوءة

52

روايات مصرية للجيب

ماورا، الطبيعة

أسطورة مملكة

روايات مصرية للحبيب

ماورا، الطبيعة

روايات تحبس الأنفاس
من فرط الغموض والرعب والإثارة

مصنّف مصرى مائة فى المائة
لا تشوبه شبه الترجمة أو الاقتباس
أو النقل عن أية قصص أوربية .

إشراف

الأستاذ/حمدي مصطفى

جميع الحقوق محفوظة للناسر
وكل اقتباس أو تقليد أو تزيف
أو إعادة طبع بالتزوير يعرض
المرتكب للمساءلة القانونية .

طباعة ونشر المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشر والتوزيع - المطابع ١٠، ٨ شارع ٤٧ المنطقة الصناعية
بالمعاسية - منافذ البيع ١٠، ١٦ شارع كامل صدقي الفجالة - ٤ شارع الإسحاقى بمنشية البكرى ووكسى
مصر الجديدة - القاهرة ت : ٦٨٢٣٧٩٢ - ٥٩٠٨٤٥٥ - ٢٥٨٦١٩٧ فاكس - 202/2596650 ج.م.ع

52

ماورا، الطبيعة
روايات تحبس الأنفاس
من فرط الغموض والرعب والإثارة

أسطورة مملة

بقلم :

د. أحمد خالد توفيق

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة

للطباعة والنشر والتوزيع

٢٠٨١١٧ - ٢٠٨٠٠٤ - ٥٩٠٨٥٥

فاكس : ٢٠٨٧٧٠٠٢

مقدمة

مرحبًا بكم ..

لو صحت توقعاتي فأنتم تطالعون هذه السطور في
الشتاء .. والشتاء فصل أثير إلى نفسى .. أعتقد
أننى بحق كائن يستمد وجوده من الشتاء والظلام ..
يقول البعض إننى أنا نفسى شبح ، وإننى سأكشف عن
هذه الحقيقة يوماً ما ..

فى الحقيقة لست ميالاً إلى هذه الفرضية الثورية ..
كل ما فى الأمر أن من يعيش دهرًا مع الرعب يصير
غريب الأطوار إلى حد ما .. ربما مخيفًا كذلك ..

اليوم نجلس معًا .. نصغى لأصوات الأمطار فى
الشارع ونرتجف ، ونتساءل ماذا لو لم نكن هنا ؟
ماذا لو كنا فى العراء .. فى البرد والظلام .. فى
أماكن لم يرها بشر ولا يقدر أن يبلغها بشر ؟

إلى الشوارع المبللة بالمطر .. إلى القطط التي يبدو
أنها ليست قططاً حقاً .. وإلى الماشين تحت الأمطار
الذين يصعب أن تتأكد من حقيقتهم .. إلى كل هؤلاء
أرسل تحياتي أسألهم أن يتركونى وشأنى ..

الليلة أحكى لكم قصة مملة ..

أسمع البعض وهو يتثأب : وما الجديد فى هذا ؟
البعض الآخر يتسائل فى خبث : وماذا كنت تفعل فى كل
الكتيبات السابقة إذن ؟ البعض يعتقد أنها دعاية وأننى
أخرق بهذا القواعد .. البعض يعتقد أننى - فقط -
أتحذلق ..

الحقيقة أنه لا مزاح فى الأمر .. إن أسطورة
اليوم مملة .. وحين يعدكم (رفعت) إسماعيل
بأسطورة مملة فإنه يعنى ما يقول ..

لماذا هى مملة ؟ الجواب واضح تماماً ... لأن كل

أحداثها تدور فى حفل ، وهو حفل غريب ، لكن
لا شىء تقريباً يحدث فيه .. إن جريمة قتل أو اثنتين
أو ثلاثاً فى حفل لا تشكل حادثاً غير معتاد هذه الأيام ..

إذن لماذا أحكيها ؟ سؤال غريب ! بالطبع أحكيها
لأنها تختلف عن القصص السابقة أو هكذا أحسبها ..
لقد اتفقتنا على أن هذه الروايات (تحبس الأنفاس من
فرط الغموض والرعب والإثارة) .. فماذا عن قصة
لا تفعل هذا ؟ أليس هذا هو التجديد الحق ؟!

تعالوا نقرأ الصفحات التالية ، ولسوف نفهم أكثر ..

★ ★ ★

١ - دكتور (سامى) من جديد ..

حين تلقيت دعوة الدكتور (سامى) إلى ذلك الحفل فى الفيلا الأنيقة التى يعيش فيها مع امرأته مدام (ثريا) ، استغرقت نحو ساعة كي أتذكر من هو الرجل ، وكيف يجروا على دعوتى إلى حفل ..

ثم تذكرت الرجل الذى فى ضيافته كانت حلقة الرعب الأولى فى حياتى .. الرجل الأنيق المهذب الذى تشعر كأنه خرج من الحمام لتوه .. كلماته أنيقة .. أفكاره أنيقة .. أحلامه أنيقة .. وهذا يسبب لى الكثير من الغيظ .. فإننى أجد فى هذا كله شيئاً غير آدمى .. متى يفقد هذا الرجل وقاره ؟ ، ومتى يكور قبضته مهدداً بالضرب ؟ ، ومتى يصاب بسوء هضم أو يبرم قطعة من الورق ليسلك بها أذنه ؟

ثم هدأت قليلاً وقرأت الدعوة .. طبعاً لابد أن يتعامل هذا الرجل بأسلوب بطاقات الدعوة المطبوعة

كأننا فى البلاط النمساوى ، وقد كانت تكفينى كلمتان
فى الهاتف : تعال .. حسن .. كانت الدعوة تقول : إن
هناك حفلاً ، وإن غرضه التعارف .. وإنه سيبدأ
الساعة التاسعة من مساء الثلاثاء يوم 31 ديسمبر ..
هناك رأس سنة فى الموضوع .. إذن هناك الكثير
من الحمقى الذين يلبسون الطراير ويتظاهرون
بالمرح ..

قررت أن أعتذر .. لابد أن أعتذر ..

كما يعرف القراء ، كان هذا الرجل مصاباً بنوع
من المرض الاجتماعى يجعله لا يطيق أن يبقى
وحيداً يوماً واحداً ، وهو ما فسرتة بعشقه المبرح
لغاز ثانى أكسيد الكربون .. أما أنا فأعشق
الأكسجين ، ولا أطيق أن أمضى ليلة مع أشخاص
يتبارون أيهم يصيح أعلى من الآخر ..

كان هذا قرارى حتى اليوم الثامن والعشرين من
الشهر ..

ثم جاء موضوع يد (بizarو) المبتورة التي
تزورنى ليلاً ، والتي كانت تنوى الانتقام منى فى يوم
ثلاثاء .. تعرفون بالطبع هذا الطراز من الأشياء ..
هل تذكرون هذه القصة ؟ لم أحكها ؟ غريب .. أنتم
تنسون .. لابد أننى حكيتها وأنتم تنسون ما أقول ..
هذا يضايقتنى فعلاً ..

ماذا ؟ حقاً لم أحكها ؟ لا يهم .. إنها خارج
الموضوع على كل حال .. أردت أن أقول : إننى كنت
راغباً أشد الرغبة فى ألا أتواجد فى دارى ليلة
الثلاثاء .. ولكن أين أذهب ؟ من المؤسف أن أية
غرفة فى فندق معرضة للهجوم عليها ، وكذا لو
أمضيت الليل عند (عزت) .. أريد مكاناً مكتظاً
بالبشر فأين هذا المكان ؟ هناك الفنادق الكبرى حيث
تقام حفلات رأس السنة ، وهناك التخشيبية فى قسم
الشرطة - وهو حل غير محبب - وهناك بالطبع حفل
دكتور (سامى) ..

هكذا اتخذت قرارى .. إن الحفل مهما ساء لن يكون
أسوأ من يد (بizarو) ..

واتصلت بالدكتور (سامى) أشكره على الدعوة ،
فنصحتنى - فى شىء من الحرج - أن أتأق قليلاً ؛ لأن
هناك شخصيات لا بأس بها ستكون فى الحفل ..
وهكذا وجدت نفسى مجبراً على ارتداء (البذلة) الكحلية
التي تجعلنى فاتناً ..

وفى التاسعة إلا الربع وصلت إلى الإسكندرية ،
واتخذت طريقى إلى فيلا مضيئى ..

★ ★ ★

كما قلت من قبل كانت الفيلا آية فى الرقى
والذوق .. صحيح أنها لا تتغير أبداً ، ولا يمكن أن
أزعم أن هناك مقعداً فارق مكانه بعد كل هذه الأعوام ،
إلا أنها كما كانت دائماً تحفة فنية تتمنى أن تتخذها
بيتاً ومكتباً وقبراً .. نباتات الزينة التي لا تموت أبداً ،
والأثاث الأزرق الذى يلعب لعبة الألوان مع الجدران
البيضاء .. أو الأبيض الذى يلعب مع البساط الأزرق
لعبة الظلال .. أو ...

كان د. (سامى) وسيماً كالعادة يرتدى سترّة
بيضاء وربطة عنق أنيقة ، وكان بعض الشيب قد
غزا مفريقيه لكنه زاده وسامة .. ثمة نوع من الشيب
يحول الشعر إلى فضة ثمينة ، وشيب - كما يحدث معى -
يجعل الرأس كأنما غُمس فى جوال دقيق ..

قال لى فى مرح اجتماعى :

- « أيها الصديق .. أيها الصديق .. كدت تنسى
أننى موجود على ظهر الأرض .. »

وراح يكررها وهو يرتجف دون سبب مفهوم ،
وظهرت مدام (ثرىا) فى كامل أناقتها ، فحيتنى بهزة
رأس أرسقراطية .. وقالت :

- « منذ تلك الليلة المربعة لم نرك ، وإننى لأشعر
أن الرعب مفيد أحياناً .. »

قلت لها فى تهذيب :

- « إن كل ليالى مربعة فلم أعد أميز أيها كانت
أفضل .. لكنى مسرور على كل حال .. »

والحقيقة أننى قابلت الرجل عدة مرات ، منها
مرة كان مقيماً فى القاهرة يمارس رياضة الهرولة ..
وأنا لم أفهم قط السبب الذى يجعل رجلاً بالغاً يصحو
فى السادسة صباحاً ليجرى .. لكنى لم أمت كما أنه
لم يمت .. برغم كل شىء نحن متساويان ..

ودخلت إلى قاعة الجلوس الكبيرة الرحبة التى
تذكرك بميدان التحرير .. كان هناك عدد لا يقل عن
الخمسين ضيفاً بين واقف وجالس .. ضاحك ومفكر ..
متكلم وصامت .. رجل وأنثى .. والكلام يحدث ذلك
الطنين المستمر الذى لا تعرف ما هو ، لكنه مزعج
بما يكفى ..

أعرف هذه اللحظة على قلة ما شهدت من حفلات ..
ألعب دور زهرة الحائط الخجول التى لا تجد من
يكلمها أو تكلمه .. فأجلس فى ركن ما ، وأراقب
الجميع ، وأتظاهر بأننى أعمق منهم وأفضل ..

لكن كان الحظ وافرًا بالنسبة لى هذه المرة .. لا لم أر
(عادل) رفيق طفولتى ، ولحسن الحظ لم تكن هنا

(هويدا) وزوجها .. كان الدكتور (رمزى حبيب)
عالم المصريات جالساً إلى جوار زوجته (مارى) ..
نسيت أن أقول لك : إنه صديق مشترك لنا ، وبالمناسبة
هناك شبه غير عادى بين (سامى) و(رمزى)
كأنهما نفس الرجل بالطباع ذاتها والعادات ذاتها .. فقط
أحدهما اختار أن يدرس المصريين القدماء ، والآخر اختار
أن يدرس نفسية المصريين المعاصرين .. بالإضافة
لهذا ليس د. (رمزى) لوردًا إنجليزيًا متخفياً كما
يجب أن نطلق على د. (سامى) .. إن د. (رمزى)
ابن بلد حقيقى ، يفهم الناس جيداً وله بديهة سريعة
ودعابات كالرصاص ..

هذا جميل .. على الأقل لن أشعر بالوحدة ..

بعد السلامات والمصافحات والد (كيف حالك أيها
العجوز المنحوس ؟) والد (هل لابد أن نزور الإسكندرية
كى نلتقى ؟) .. بعد هذا كله اتخذت مجلسى إلى
جوارهما ، ونظرت إلى الساعة .. كانت التاسعة
والنصف .. سنرحل بعد ساعتين ونصف أو أكثر قليلاً ..

أنا سأذهب إلى ذلك البنسيون الذى اعتدته ، لأننى لم أعد
أطبق القيادة الليلية ، وهما يقيمان فى شقتهما هنا
على ما يبدو ..

قلت له باسمًا وأنا أشير إلى الحضور :

- « هل كل هؤلاء أصدقاؤه ؟ »

قال فى استخفاف :

- « ليس عددهم كبيرًا .. أنت خفاش آدمى لا أكثر ..
لو أن الحفل كان مقصورًا على شخصين لقلت
الشيء ذاته .. »

- « وهل وجه دعوات إلى كل هؤلاء ؟ »

- « يبدو لى أنه لا يعرف بعضهم ولم يدعه ..
أنت تعرف عادة البشر .. ادع واحدًا ولسوف يحضر
خمسة وتجد نفسك فى موقف غاية فى السوء من
ناحية المون والإمدادات .. »

رحبت أراقب الناس ، وبدا لى بالفعل أنهم
مجموعة متباينة من الأشخاص لا يربطهم شيء ..

ظهر عازفان آعيسا الحال ؛ أحدهما يحمل كمانًا ،
والآخر يحمل عودًا ، وجلسا فى مكان مرموق من
القاعة ، ثم تقدمت فتاة شابة حواء لتغنى أغنية
قديمة لـ (ليلى مراد) .. أغنية من تلك الأغاني التى
يقف فيها (أنور وجدى) بقتاع ضابط قيصرى وسط
الجموع ، ليرمقها فى افتتاح ..

فى البدء دهش الناس لهذا الاقتحام ثم بدعوا
يتحمسون ويشجعون ..

هنا ظهر د. (سامى) من مكان ما ، وقد تفصد جبينه
بحبيبات العرق من فرط الإنهاك ، وقد اتخذ سيما رب البيت
الذى يضحى بأى شىء من أجل ضيوفه .. رأنا فابتسم
على طريقة (آه - هأنذا - قد - وجدت - رفيقًا -
جميل - جميل) .. فابتسمنا على طريقة (لا - تقلق -
من - أجلنا - كان - الله - فى - عونك) ..

لكنه دنا منا وجلس جوارى ، بينما صوت المطربة
يخرق طبلة أذننى .. وضع يده على ركبتى وقال :

- « إن لدينا هنا أغرب مجموعة من المخابيل فى
العالم .. »

- « آه ! أنت تفهم هذه الأمور جيداً .. ومن أتى بهم هنا ؟ »

- « لا أدري .. لكنى لن أسأل أحدهم من أتى به ..
لن يكون هذا أرقى تصرف ممكن »
وابتسم فى تعب .. فعدت أسأله :
- « مخابيل من حيث ؟ »

هز رأسه :

- « لا أدري .. لكنهم غريبو الأطوار حقاً .. »
ثم أشار إلى أحدهم ، وهمس فى أذنى :
- « هل ترى هذا الشاعر الحالم ؟ هل يكفى هذا
لجعل الحفل غريباً ؟ »

نظرت إلى حيث أشار فوجدت جوار المدفأة شاباً
نحيلاً أسمر له وجه حزين شفاف .. وجه شاعر
بالفعل ، وكانت ثيابه أنيقة منسقة ، وإن كان حجم نصفه
الأسفل أضخم قليلاً مما لا يتناسب مع نصفه الأعلى ..

لم يكن وسيماً على الإطلاق ، لكن النظرة الساهمة
المكسورة فى عينيه تنقلك إلى عالم لا تذكر أين هو ،
لكنك تعرفه ..

وجواره كانت زوجته .. كيف عرفت أنها زوجته ؟
لأننى عبقرى .. أعنى أنهما كانا يتهاامسان من حين
لآخر ، وأحياناً كان يربت على خدها وهو يصغى إلى
الأغنية .. هنا أقف وقفة ..

زوجه كانت أجمل شىء رأيته فى حياتى .. لم تكن
جميلة .. دعك من المزاح .. لقد كان جمالها خارقاً
يتجاوز كلمة الجمال .. كان ينتمى إلى سديم كونى أرقى
وأطهر وأسمى من عالمنا ، ولا تنطبق عليه صفاتنا
الأرضية .. كنت أعتبر دوماً من يقول (غروب جميل)
شخصاً أحمق .. الغروب أسمى وأرق من هذه
الألفاظ الأرضية المبتذلة ..

كانت حزينة مثله بالضبط ، وإن كانت بشرتها
الرهيفة الحساسة التى تنبض الأوردة من تحتها ،
تعكس الحزن كما لا تستطيع أية كلمات أن تعكس ..

جوارهما كان طفل جميل فى الخامسة من عمره
تقريبًا ، وأدركت أنه طفلهما كما هو واضح ، لكنه
استمد جماله من الأم ..

كل هذا لا يثير شيئًا من الدهشة فى نفسى ..
هناك خمسون ضيقًا هنا ، ويمكن أن تجد بينهم شتى
الأشكال والطباع .. ولو أطلق أحدهم صهيلاً ،
أو أخرج أحدهم من أنفه خرطومًا فلن يكون هذا غريبًا ..
يكفى أن شخصًا غريب المظهر مثلى هنا بين
المدعوين ..

ألم أعذكم أن تكون أسطورة مملة ؟

★ ★ ★

٢ = الشاعر ..

انتهت المغنية من هذا الذى تفعله .. وقد برزت
كل أوردتها إلى الحد الذى كان سيقتل (ابن الرومى)
كمداً ؛ فهو الذى وصف براعة المغنية بأنك لا ترى
لها وريداً ..

الآن تفرق الناس .. ورأيت سيدة حسناء فى
منتصف العمر تدنو من الشاعر وتهمس فى أذنه ..
من هذه إذن ؟ هز رأسه مراراً فى ألب ثم عاد لشروده ،
ولاحظت أن الحسناء الشابة ليست مسرورة جداً
بهذه الهمسة ..

خيل إلى أنه يحدث السيدة الأكبر سنّاً بلفظة
(ماما) .. ماما ؟ لو كانت هذه الحسناء أمه فلا بد أن
أباه كان يشبه الخريت .. الأمر إذن واضح .. هذه أمه
التي تملك السلطة كل السلطة عليه ، وهذا بالطبع

لا يرضى زوجته الشابة التى لا ترضى أن يكون
رجلها (ابن أمه) .. دعك من أن أمه - كما هو
واضح - قوية الشخصية مسيطرة ومن الطراز الذى
نسميه (يكيد ولا يكاد) .. أى أنها قادرة على جعل
حياة زوجة ابنها الرقيقة جحيماً ..

إن علاقة الحماة بزوجة ابنها تثير دهشتى ..
إننى أجدها فى صورتها البدائية صراعاً بين امرأتين
على رجل الكهف .. الأم تعتبر أنها صنعتها وعلمته
كل ما يعرف ، وتستحق أن يظل لها للأبد ، فلن تأتى
حدأة لا موهبة لها إلا أنها تضع طناً من المساحيق ،
كى تسلبها إياه .. والزوجة ترى ببساطة أنه لا ذنب
لها ؛ لأن هذه سنة الحياة ..

هنا تلعب الأم ألعاباً قاسية مع الزوجة .. يا حسرتى
عليك .. ألم تقم الهاتم بخياطة هذا الزر ؟ أمك
ستفعل .. ألم تطه لك البامية كما تحبها ؟ أمك
ستفعل .. ثم قل لى : لماذا تلبس الهاتم هذا الثوب
الذى لا يناسب وزنها ؟ ولماذا تصفف شعرها بهذه
الطريقة التى تذكرنى بالمكنسة ؟

ثم تلوح بيدها فى رقعة وتوسل : لا ... لا ...
أرجوك .. لا توبخها .. أنا لا يعنينى إلا أن تكون
سعيداً .. اتس ما قلته لك ، وهات لى القميص كى أخيط
لك هذا الزر ..

هذا السيناريو بالطبع لو كانت الزوجة وديعة ،
والأم من طراز أم الشاعر هذه .. العكس وارد طبعاً ..
الحمد لله على أننى لم أتزوج بعد .. ما كنت
لأتحمل عش الدبابير هذا ..

كنت غارقاً فى هذه الخواطر حين دعأتى د. (رمزى)
إلى الخروج للشرفة لبعض الوقت ..

نهضنا ونهضت زوجته واتجهنا إلى الشرفة التى
تطل على الحديقة المظلمة الباردة .. صقيع لكنه
منعش .. والأضواء فى كل صوب ؛ لأن الليلة غير
عادية كما تعرفون .. برد الإسكندرية الجميل الذى
لا يوصف بكلمات ..

كانت الشرفة خالية كما لاحظتم ؛ لأنه ما من مجاتين
كثيرين يرغبون فى الوقوف فى الشرفة فى هذا الجو ..

لاحظت أن الشاعر يقف بالقرب منا ، ويرمق
الليل فى نههم وجوع .. كأنما يختزن الطبيعة كلها
داخل رنتيه وعينية .. وسمعته يدمدم بشيء ما كالقطط
التي تقرر ..

قال (رمزى) وهو يتبادل مع زوجته ابتسامة خبيثة :
- « هذا شاعر على ما أظن .. إنك تجدهم تحت
كل حجر فى هذه الأيام .. »
قلت فى توتر :

- « لا أدري .. إنه يبدو شاعريًا جدًا ، فلو كان
بوسع المرء أن يحكم على الناس من منظرهم ، لكان
هذا الرجل هو (المتنبى) أو (ناجى) .. »

وحاولت أن أسمع ما يقول ، لكن صوته كان خفيضًا
جدًا .. فى النهاية غلبنى الفضول فملت عليه وقلت
بجراحة أفقدها غالبًا :

- « لا أريد أن أبدو وقحًا يا سيدى .. لكن هل
بوسعنا أن نسمع بعض شعرك ؟ »

نظر لى وهو لا يرانى .. نظر عبرى .. وهمس :

- « لن تفهمه يا سيدى .. لن تفهمه .. »

إنه وقح أيضاً .. أدت له ظهري وتظاهرت بأننى
لم أقل له شيئاً ولم أسمع شيئاً ..

هنا بدأ ينشد الشعر كأنما قرر فجأة أننى سأفهمه :

- « من أجلك أنت يا سيدى ..

تعلم تغرى فنون المديح ..

وحاربت كل الغزاة وكل القساة وكل الدعاة وكل
الرعاة ..

من أجلك أنت يا سيدى ..

فهمت القصائد والأغنيات ..

وترنيمة الطير فوق الغصون ..

وهمس المنون ..

لأن الطبيعة فى ذاتها ..

هى فن من فنون المديح » ..

صفت بكفى فى غير اقتناع .. هذا ليس شعراً
وليس نثراً ، وهذا هو الكلام المكسور الذى يقول
إننى لن أفهمه .. أتوقع فى الشعر أن يحوى بعض
الموسيقا سواء موسيقا الكلمات أو موسيقا المعانى ..
لكن هذا شعر جاف كالصحراء ..

وأدركت أنه يقول أى كلام حين لاحظت كيف جمع
بين (رعاة) و(دعاة) و(قساة) .. ما دخل الرعاة
فى الموضوع ؟ هل لو طال البيت قليلاً لأضاف
(حماة) مثلاً ؟ وتذكرت بيت الشعر الحقيقى العبرى
الذى يقول :

فلکم ترى من صامت لك مُعْجِبِ
فزيادته أو نقصه بتكلم

بدأ الفتى - يا للمصيبة ! - يتحمس وراح يفتش
عن قصيدة أخرى أكثر إمتاعاً ، فقررت أن أخرسه
بالهجوم المباشر :

- « هل أنت شاعر بالمهنة ؟ »



بدا الفتى - يا للمصيبة ! - يتحمس وراح يفتش عن قضية أخرى
أكثر إمتاعاً ...

تنهد فى عمق وقال :

- « لا .. أنا من الأعيان ، ولكن الشعر استولى على
تماماً إلى حد أننى لا أجد الوقت الكافى للغاية بأملأى .. »

ثم مد يداً سمراء نحيلة جافة ليصافحنى ، وقال :

- « أنا (مراد سليم) .. من أعيان الصعيد .. »

- « (رفعت إسماعيل) .. من مفلسى القاهرة .. »

هنا دخل الفجر والندى وهمس الورد فى الشرفة ..
فعرفت أنها زوجته قد لحقت بنا .. حيثنا بهزة رأس
مهذبة ، ثم دنت منه وسمعنا بشكل ما طرفاً من
كلامها وإن لم نتعمد هذا ..

كانت تقول له فى صيغة لائمة :

- « إنهم استولوا على كل شىء وأنت هنا لا تفعل

أى شىء .. يجب ان تكون جديراً بالاسم الذى تحمله ..

لو كان أبوك رحمه الله هنا ... »

قال فى ضيق ضاغظاً على مقاطع كلامه :

- « أنا غير أبى فى كل شىء .. فى التفكير ..
فى الدين .. فى كل شىء .. وأنا شاعر ولا أعتبر
نفسى مقاتلاً على الإطلاق .. لكنى أخبرت (محب)
كى يتولى الأمر .. »

قلت همساً لدكتور (رمزى) :

- « كيف يكون غير أبيه فى الدين ؟ »

- « ششششش !! » - واضعاً إصبعه على شفثيه
محذراً - « إن الناس تغير دينها أحياناً .. »

هنا ارتجت الشرفة ؛ لأن شخصاً ضخماً من تلكم
الجران الآدمية التى شاهدت مثلها الكثير منذ جئت
الحفل ، دخل علينا .. كان أسمر اللون عريض المنكبين
تبدو بذلته كأنما ستتمزق من فرط ضغط العضلات ..
لم يلتفت شاعرنا الحالم ، وقال وهو ينظر للحديقة :

- « تعال يا (محب) .. ماذا فعلت ؟ »

بصوت غليظ عميق يتكلم الأخ (محب) الذى
لا يليق باسمه الرقيق :

- « كما قلت لى .. ذهبت إليهم وأذقتهم الويل ..
لكننا ما زلنا بحاجة إليك هناك .. »

- « سأفكر فى نلك أيها الصديق .. أين (علاء) ؟ »

- « إنه يلعب وحده .. الأطفال يموتون ضجرًا
لو لم يجدوا أطفالاً مثلهم .. »

- « حسن .. تعالوا نسر عنه قليلاً .. »

وخرجت المجموعة من الشرفة .. وعدنا نتنفس
بحرية وإن ارتجفنا قليلاً بفعل البرد الشديد ..

قلت وأنا أنظر من وراء كتفى :

- « ألا ترى فيهم مجموعة غريبة بعض الشيء ؟ »

قال د. (رمزى) فى ضجر ، وهو يتبادل مع
زوجته نظرة ساخرة :

- « أنت اعتدت الغرابة إلى حد أنك تجدها فى
ماسورة المطبخ »

بلا هزل قلت وقد أغاظنى أنه لا يرى ما أراه :

- « واحد من أعيان الصعيد يختلف عن أبيه فى كل شىء حتى الدين ، وهناك من يستولون على ثروته بينما هو غارق فى نظم الشعر .. زوجة بارعة الحسن لكن علاقتهما ليست على ما يرام .. أمّ ، تسيطر عليه تمامًا كما لاحظت أنا ، ورجل يشبه جبل المقطم هو الذى يأتى له بحقه .. فلتقطع ذراعى إن لم يكن صديقه القوى هذا يمرح فى أملاكه .. ولربما كانت الزوجة تحبه .. »

صاح وهو يضرب كفاً بكف :

- « (رفعت) !! أنت تشاهد الكثير من أفلام (ستيفان روستى) مؤخرًا .. هذا هو الواقع يا صديقى حيث لا تحدث أشياء كهذه .. »

- « نعم هذا هو الواقع .. لهذا أندهش لحدوث أشياء كهذه .. »

تجمدت مدام (مارى) تقريبًا برغم أنها ضمت شالها على جسدها ، فأعلنت أنها راغبة فى العودة إلى الداخل .. كالعادة أعلننا أننا سنفعل الشىء ذاته .

وفى الداخل كان المهرجان مستمرًا ...

★ ★ ★

الآن كانت هناك فرقة باليه تتكون من فتيات لم أر
أرشق منهن ولا أخف حركة .. وكن يرقصن على
موسيقا خفيفة جداً لا تتجاوز نقرات على الطبل
و (نغبشة) على الوترية .. وكان الكل يتابع الرقص
باهتمام ، بينما خطر لى أن د. (سامى) لا يفتقر إلى
الثراء فعلاً .. هذا حفل كامل بفقرات متنوعة لابد
أنها كلفته مالا ..

وجدت د. (سامى) جوارى ينظر فى ذهول لكل
هذا .. سألته باسمًا :

- « من أين جئت بهؤلاء ؟ لم أعرف أنك بهذا
الثراء .. »

نظر لى بعينين لا تريان وقال :

- « أقسم إننى لم أحضر هؤلاء .. »

- « يا سلام ! كانت هاته الراقصات مارات فى
الشارع حين ... »

- « كلا .. هناك (عباس) .. لقد وعدنى بأن
يرتب بعض الفقرات الترفيحية ، ولم أعرف أنه
سيحول دارى إلى ناد ليلى .. تبًا لك يا (عباس) !!
لو رأيته سأحوّله إلى سجادة »

إذن هناك (عباس) وقد خدعه .. فهمت الآن ..
- « على كل حال هذا باليه .. ليس الأمر بهذا
السوء .. »

الكل يتابع أما أنا فابتعدت ، لأتلى رأيت وجوه
الرجال جاحظة العيون ، فكرهت أن يكون وجهى
وجهًا من هذه الوجوه ..

لقد بدأت أشعر أن الأمسية ستكون طويلة جدًا ..
أنا مشتاق لفراشى فعلاً .. تبًا لك يا (بizarو) ..
لو لم تكن يدك تبحث عنى الآن ، لكان بوسعى أن
أبيت فى بيتى وأشرب بعض الشيكولاتة الساخنة فى
الفراش ، مع كتاب عن الأشباح .. لكنك حكمت على
بالنفى فلن أرى شقتى العزيزة إلا غداً ..

أخيراً وجدت العجوز الكئيب الذى يناسب حالتي ..
كان جالساً على أريكة فى ركن المكان يشرب
بعض السحلب لا أدري من أين جاء به .. وكان
مغضن الوجه كالتفاحة الذابلة ..

حييته وجلست على الأريكة جواره .. فمضغ تلك
الأشياء التى تملأ السحلب ولا تعرف إن كانت زبيياً أم
صفادع صغيرة .. وقال لى بصوت واهن لكنه أمر متسلط :

- « هل أنت من (الزقازيق) ؟ »
لا أدري إن كانت الزقازيق تطل من عيني ، لكنى
هزرت رأسى فى رفق وقلت :

- « (كفر بدر) .. قريبة جداً من (فاقوس) .. »

- « ~~~~~ أه ! »

قلها كأنما أضلت له ألغاز للكون كلها مرة واحدة ، وعاد
يمضغ الأشياء الغامضة دون أن ينظر لى .. يعضها
بطاقم أسنانه على الأرجح .. بعد قليل عاد يسألنى :

- « ما أسعار المدافن عندكم ؟ »

الأمر الذى وجدته غريباً مع أول فرصة للتعارف ..
لكنى أعرف هؤلاء الشيوخ جيداً .. يتكلمون عن القبر
والموت كأنما يتكلمون عن (ديزنى لاند) .. هذه
متعتهم الوحيدة فى الحياة .. وبشكل ما أنا أفهمه ..

قلت له وأنا أبتسم برغمى :

- « لا أعرف .. إن مدافن أسرتنا موجودة وجاهزة
لاستقبالى إن شاء الله .. »

- « غير مأمونة .. »

ووضع القدر فى الطبق بعصبية ، وعاد يكرر :

- « غير مأمونة .. أنا أعرف هذا وأعنيه .. لقد
أعددت لنفسى مدفنًا لا يستطيع الجان اقتحامه .. ما هى
مهنتك ؟ »

- « ط .. طبيب .. »

- « قلت من أين ؟ »

- « (كفر بدر) .. قرية جدًا من (فاقوس) .. »

- « آه ! أنت كنت فى الكلية ودرست العظام الآدمية ..
من أين تعتقد أنهم جاءوك بها ؟ طبعًا من قبرك
أو قبرى .. هؤلاء اللحادون لصوص مقابر بالفطرة ،
ولا يراعون حرمة شىء .. أنا دفنت والدتى رحمها الله
ثم اكتشفت أن هناك من عبث بعظامها .. تصور هذا !
حتى فى القبر هناك من يفتش جيوبك لينشلها .. »
كان الآن قد صار غاضبًا جدًا .. غاضبًا بحق ،
وراح السحلب يتطاير من فمه على ثيابه .. فلو أنك
كنت تقف قريبًا لخيّل إليك أننى المقصود بكل هذا
الصراخ والغضب .. موقف سخيف لكنه لا يستحق
السرد ..

ألم أعددكم أن تكون أسطورة مملة ؟

★ ★ ★

٣ - المراقبة والكهل ..

لمدة عشر دقائق ظل (عزمى) بك - كما قال إنهم
ينادونه - يحكى لى عن جمال وروعة وأناقة وأمان
مدفنه الجديد ، حتى إننى لم أعد متأكدًا مما إذا كان
يتحدث عن دفنه أم عن زواجه .. لقد مررت بذات
الموقف مرارًا من قبل وأنا أفهمه ؛ لأن الشيوخ - كما
قلت - لا يعدون الموت موتًا ولكن مرحلة جديدة فى
حياتهم ..

فى النهاية رأيت الدكتور (سامى) مارًا وهو
يمازح هذا ويداعب ذلك ، فهرعت - بعد استئذان
معذبة - ألحق به ، وقلت له إننى - (أبوس إيدك) -
راغب فى الانصراف الآن ..

قال فى عدم تصديق :

- « ليس قبل منتصف الليل يا (رفعت) .. هذا
فأل سبىء كما تعلم .. »

- « هذه الأشياء لا تنطبق على .. »

قال فى غموض وهو ينظر للجهة الأخرى :

- « أرجوك أن تبقى .. فعلاً هناك أشياء غريبة

أحتاج إلى رأيك فيها .. »

- « مثل ... »

- « فقط صدقتى .. هذا رجاء .. »

- « ولكن ... »

- « مهندس (فاروق) !! »

هذه لم تكن ضمن المحادثة طبعاً ، وإنما هو لمح

المهندس المذكور فهرع يلحق به .. وهذا شأنه منذ

بداية الحفل أشبه به (الحنكليس) - الذى لا أعرف

ما هو - لا تمسك به بضع ثوان حتى ينسل من يدك

إلى مكان آخر (*) ..

(*) الحنكليس هو ثعبان الماء ، لكن (رفعت) لا يعرف !

هنا رأيت أن الناس يلتفون حول المكان الذى
تحول إلى مسرح قاعة الجلوس هذه .. دخلت
راقصتان من تلكم الفتيات الرشيقات تحمل كل منهما
طرف بساط كبير ملفوف حول نفسه ..

ما معنى هذا ؟ هل مات أحد ؟

تنحت الراقصتان جانباً بحركة مدروسة ، بعد أن
وضعتا البساط على الأرض ، فدار البساط حول نفسه ..
وسرعان ما خرجت منه فتاة .. مثلما يفعلون فى
حفلات المفاجآت فى الغرب حين تخرج من التورتة
راقصة أو قاتل يحمل الكلاشنكوف فى أفلام العصابات ..
يبدو أن الأخ (عباس) أعد هذا أيضاً ..

بدأت الفتاة ترقص يميناً ويساراً بحركات رشيقة
غريبة تذكرك بالباليه أو الجمباز الإيقاعى ..

هل أقول إنها كانت أروع من رأيت فى حياتى ؟
لقد صار هذا مملاً .. إما أننى أهذى وإما أن هذا
الحفل يضم أجمل مجموعة من الفتيات وقعت عليهن
عينى فى حياتى ..

لو دقت النظر أكثر لرأيت أنها ليست جميلة على الإطلاق .. لكنها ساحرة .. رشاقة وخفة حركتها والشخصية القوية المظلة من عينيها تعطى الإحياء بالجمال دون أن تكون كذلك ..

طالت الرقصة وكالعادة حرصت ألا أتابعها لكن شيئاً ما وقع فى نفسى .. لقد نثرت تلكم الساحرة بذور سحرها فى روى فشعرت كأنما أنا مراقب فى الرابعة عشر من عمره ..

أخيراً انتهت .. لا كما تنتهى الموسيقى تدريجياً ولكن مرة واحدة ..

ومن مكان ما سمعت د. (سامى) يصيح :

- « (عباس) أيها الوغد !! أقسم بالله لو رأيتك ... »

ورأيت الراقصة تخطر على قدميها الدقيقتين وهى تتمايل نازلة من على المسرح المرتجل .. وسمعت تصفيقاً أكثر حرارة من المعتاد ..

كان صاحب التصفيق واحدًا من هؤلاء الكهول الذين لم يتخلصوا من مراهقتهم بعد ، ولا أتكلم عن نفسى طبعًا .. كان رجلاً متأنقًا - ضخماً قوياً فيه مهابة وقوة شخصية غير عاديتين .. إما أنه أجنبي أو هو مصرى أبيض البشرة أزرق العينين .. ورأيت الفتاة تهرع له لتجلس جواره ، وسمعتها يضحكان .. لقد استولت على عقله بالكامل .. قال واحد جوارى لصاحبه :

- « الخواجة (باولو) قد وقع فى الحب .. هذا واضح ! »

- « لو عرفت زوجته لحدثت كارثة .. »

- « أعتقد أنها تعرف .. لكن لحسن الحظ أنها ليست هنا .. »

(باولو) ؟ إذن هذا الأحمق إيطالى على الأرجح .. كان يكلمها بحماس ويحكى لها عن أشياء ، ولا أدرى ما هى اللغة التى يستعملها لكن هناك عددًا لا بأس به

من الإيطاليين فى مصر على كل حال ، أكثرهم يتكلم
العربية بطلاقة .. وقد قابلت من هؤلاء الكثير فى
المنصورة فى صباى ..

من جديد مر د. (سامى) أمامى وهو يلعب دور
المضيف الذى يشعل أنامله كالشمع من أجل ضيوفه ،
فجذبتّه من كمه وأشرت إلى الجالسين :

- « من هذا ؟ ومن هذه ؟ »

نظر إلى حيث أشرت بعينين لا تريان ، قال وهو
يجذب كمه :

- « علمى علمك .. »

- « يا سلام ؟ هذه دارك إن لم تكن الذاكرة قد
خانتنى .. »

- « أنت تعرف هذه الحفلات ، أو - بعبارة أدق -
لا تعرف هذه الحفلات .. يقول رب البيت العربى لطاهيه :
زد فى كل شىء ، فقد يجىء من نريد ومن لا نريد .. »

- « أنا لا أقابل إلا من لا تريد .. »

- « مادمست مستعدًا ، وما داموا أشخاصًا راقين مهذبين فلن أطرده أحدًا .. إنهم على شيء من الخبل وغبابة الأطوار لكن هذا ليس سببًا كافيًا كي »

ثم هتف وهو ينسل من يدي :

- « أستاذ (نيازي) !! »

لن أظفر من هذا الرجل بشيء هذه الليلة ، فهو في غيبوبة تامة على ما يبدو ، ولن ألومه .. أنا لا أتصور أن أجد نفسي في هذا الكابوس وأكون مسئولاً عنه .. لو فعلت هذا لتسللت إلى الحمام لأصاب بنوبة قلبية وأموت ..

اتجهت إلى المائدة التي رصت عليها أصناف لا أعرف إن كانت تؤكل أم تستخدم كأجهزة تعويضية ، والتي وقف جوارها شاب يرتدى سترة أرجوانية ، يتسم بلطف مصطنع ، وقد وضع يده اليسرى خلف ظهره ليوحى بأن الخدمة ممتازة .. ابتسمت له في سماجة ورحت أحرص بعض الأشياء في طبقى ..

شعرت بالهواء والنور ينقطع من يساري ، فنظرت لأرى جدارًا أسمر من لحم وعضلات ..

الفتى أنيق .. هذا حق ، لكن قامته الفارعة المفزعة
تجعلك تنسى ما يلبسه .. وكان يقف جوار امرأة فى
منتصف العمر بادية السيطرة ، على قدر من الجمال ،
وقد بدا أن بينهما مناقشة ساخنة بحق .. كانت
تحاول إقناعه بشيء ، وهو ينفخ فى ضجر ..

- « يا حبيبى أنت لا ينقصك شيء .. الأمور مستقرة
وكل شيء على ما يرام .. »

- « هذا ما تقولين أنت ! »

- « يمكننا التفاهم معهم .. كل شيء يمكن أن ... »

ضرب الأرض بقدمه فى غيظ ، وهتف :

- « أوف ! هذا هو كل ما يمكن للمرء أن يظفر

به من آراء النساء .. فى حين لا يحترم الناس إلا
من يخافونه .. »

قالت فى حزم وهى تضغط على كلمتها :

- « (أكرم) .. لقد قلت كلمتى وعليك أن تطيع .. إن

زوجة أبك هى بمثابة أمك .. لقد انتهت هذه المناقشة .. »

فى عصبية ألقى الطبق الذى كان فى يده على المنضدة ، وابتعد غاضباً ، ويبدو أن الإهانة التى تلقاها أمانا جعلته لا يتحمل المزيد .. هذا رجل قصير القليل ، ومن حسن حظها أنها زوجة أبيه وأنها أنثى وإلا لهشم رأسها ..

نظرت المرأة لى وللشباب المسئول عن البوفيه ، وتساءلت فى سرها إن كنا تابعنا ما حدث . لكن عيوننا قالت بوضوح إننا تابعنا ..

راحت تملأ طبقها فى عصبية ، وهى تقول كأنما تكلم نفسها :

- « إنه شاب متحمس .. جامح كالحصان .. لقد صار ضابطاً فى الجيش ، ويبدو أنه تعلم أن القوة هى الأساس الوحيد لأى تعامل .. إن التفاهم مع الشباب يكون مستحيلاً أحياناً .. »

ابتسمت وقلت مجاملاً :

- « سيدتى .. لا أرى أنك ابتعت عن الشباب كثيراً »

ابتسمت بدورها واحمر خذاها قليلاً :

- « بل ابتعدت بأعوام .. الحقيقة إن السيطرة على الأمور صعبة بالنسبة لى كامرأة .. إن لى أعداء كثيرين ، وأولهم هذا الشاب ، وإننى لأجد نفسى أحياناً مضطرة إلى لعب دور الرجل كى أقتنعهم .. إنهم يعتقدون أن المرأة خصم سهل .. وقد بدأت أجاريهم هذا الاعتقاد .. »

ومدت يدها فى حقيبة يدها وأخرجت علبة تبغ وأشعلت لنفسها لفافة .. فهمت .. لكن لو كانت تعتقد أن التدخين يجعلها من الرجال فهى مخطئة .. الصبى يبدأ التدخين ليشعر بأنه رجل ، والبالغ مثلى يحاول الإقلاع عن التدخين ليشعر بأنه رجل !

ثم مدت يدها لى مصافحة :

- « مدام (سلوى الصباغ) .. أما هذا الشاب الثائر فهو (أكرم) ابن زوجى »

كانت قبضتها قوية كالرجال تماماً .. حاولت
جاهداً أن أتماسك أمامها وقلت فى كياسة :

- « د. (رفعت إسماعيل) .. »

- « أنت مجامل يا دكتور (رفعت) .. وأنا أقدر
هذا فى الرجل .. »

ابتعدت فتبادلت مع مسئول البوفيه ابتسامة ذات
معنى .. ثم حملت طبقى وابتعدت .. يبدو لى أن هذا
الحفل شبيه بأوبرات فقاقيع الصابون التلفزيونية
الأمريكية المعروفة .. لا شىء يحدث .. لكنهم
مجموعة من الأشخاص بمشاكل عائلية معينة ،
وصراعات ناشئة عن هذه المشاكل .. وفى كل لحظة
يحتل الكادر اثنان من هؤلاء ليؤديا دوراً قصيراً ..
والأوبرا بهذا الشكل لن تنتهى ولا يمكن أن تنتهى ..
كلما ماتت الرغبة وضع المؤلف يده فى طبق
الصابون ؛ ليحرك الماء قليلاً ومن ثم تولد فقاقيع جديدة ..

لكنى لا أنكر أن متابعة هذا مسل نوعًا ، وقد بدأت أفهم لماذا يحب الناس هذه الأشياء ...

بطرف عيني أرى الخواجة الإيطالية (باولو) يغادر القاعة ، بينما تجلس الراقصة الحسنة على الأريكة تنتظره ، وراحت ترمق الحفل بعينين نجلاوين لا يمكن أن يفوتك ما فيهما من ذكاء عبرى .. القصة واضحة إذن .. إنها تبحث عن ثرى تخدعه وتسلبه ما معه من مال .. كان الإيطالى أحمق وقد وقع فى الشرك ، فمن بعد هذا ؟ لحسن الحظ أنه ليس أنا ..

يبدو أنه أنا !!

لقد نهضت لتعبر القاعة ببراعة غير مصطدمة بأى واحد من المتزاحمين ، حتى وصلت إلى الأريكة التى أجلس عليها .. كان فمى مليئًا بالطعام ، فما إن رأيتها حتى غصصت بما فى فمى ، كأننى رأيت الطاعون ذاته أمامى ..

ضحكت قليلاً وقالت :

- « ماذا حدث ؟ أنت لم تر عفريتاً .. »

بذوقى ولباقتى المعهودتين قلت :

- « بل ما هو أسوأ .. »

- « لا بأس .. اسمى (كاتيا) .. هل معك ثقاب ؟ »

- « لا .. »

كانت معى قداحة ، لكنها لم تسألنى عن نار ..
سألت عن ثقاب ..

- « ولن تدعونى للجلوس ؟ »

- « أنا لا أملك المنزل لهذا أرجوك أن تتفضلى .. »

جلست وهى ما زالت حائرة بصدد إشعال لفافة
التبغ التى تحملها ، لكن من يجيدون هذه الأشياء
كثيرون لحسن حظها ، وقد تقدم أحد الشباب فى حماس



كانت معي قداحة ، لكنها لم تسألني عن نار .. سألت عن ثقاب ..
.. «ولن تدعوني للجلوس ؟» .

ليدنى قداحته من طرف لفافة تبغها ، فاتبعث دخان
كثيف وأهدته ابتسامة شاكرة .. ثم قالت لى :

- « أنت متضايق من وجودى .. أليس كذلك ؟ »

لم أعلق وواصلت الأكل محاولاً أن أستعيد متعتى
الأولى .. لكن هيهات .. لا أحد يأكل بينما هناك من
يراقبه بهذا الفضول ..

- « لك الحق .. لا بد أنك سمعت ما يقال عنى ..
هناك من يعتقدون أننى فتاة لعوب ، لكن المرأة قد
تضطر لهذا لتحمى نفسها .. أنت تفهمنى .. أليس
كذلك ؟ »

- « نعم .. لا أفهم .. »

- « المرأة لا تملك عضلات ولا تجيد استعمال
السلاح .. المرأة لا تستطيع السيطرة على
(الأبضايات) .. لهذا تملك المرأة سلاحاً واحداً فتاكاً
هو ذكاؤها .. هو جمالها .. وأنا أستعمل هذا السلاح

لأحصى من أحبهم وأخاف عليهم .. وهذا الـ (باولو)
يستطيع أن يؤذيني ويؤذى أحبائى بشدة لو أراد ،
لهذا جعلته لا يستطيع أن يستغنى عنى .. إنه الآن
رهن إشارتى يفعل كما أمره بالضبط .. وهو يلقى
لهذا الأمرين من زوجته ومن أهله .. لكن خمر
الحب قد أسكرته فلا فكاك له .. »

شعرت برعب من هذه الكلمات .. لماذا تطلب
منى هذه المرأة أن أتفهم موقفها ؟ أنا لست حكماً
ولست أباهاً ولا أخاهاً ولا زوجها ولا ابنها .. ثم لماذا
تصارحنى بهذه الأسرار من أول مرة ترانى فيها ؟

طعم لحم الديك الذى أمضغه يوشك أن يتحول إلى
لحم ظربان .. هذا الحفل يعج بالمجائنين من دون شك ..
مر ساق يحمل بعض الكئوس التى تحوى عصير
البرتقال .. فاستوقفته حتى كدت أسقطه على الأرض ،
وجذبت كأسين قدمت لها واحداً وواحداً لى ..

تشممت الكأس لحظة ثم سألته :

- « عصير يرتقال .. هل لديكم شيء أقوى ؟ هل
لديكم (حنقت) ؟ »

صاح الفتى فى غباء :

- « (حنقت) ؟ »

هنا ضربت المرأة رأسها وضحكت فى دلال :

- « ما أغباتى .. نسيت اسم ذلك المشروب اللذيذ ..
ليكن .. ليكن .. سأكتفى بهذا .. ميرسى .. »

وقبل أن أعلق جاء الدكتور (سامى) يهرول
نحوى ووجهه ممتقع كالموتى .. وكان د. (رمزى)
يتبعه وفى حالة ليست أفضل ..

هذه أشياء تحدث ..

ألم أعددكم أن تكون أسطورة مملة ؟

★ ★ ★

٤ - فلنحتفظ بالهدوء ..

مال على أذنى وهمس :

- « حاول ألا تحدث جلبه .. أريدك معى فى الخارج »

ورفع وجهه إلى (كاتيا) وضحك ضحكة مفتعلة
دبلوماسية . فتهتت معه وأنا أكره أن أترك ما تبقى
فى طبقى الملىء ..

كما هو طبيعى هرعنا إلى الخارج . ونزلنا بضع
درجات .. إلى حديقة الفيلا التى تحولت إلى بقعة من
النور كأنها مدينة الأحلام .. التماثيل الرومانية فى
كل صوب تجعلك تشعر كأن هذه حديقة قصر ،
وعبير الأشجار التى تهمس بأسرارها فى خجل من
فرط برد ديسمبر .. كنا الآن ستة رجال لا أعرف
اثنين منهم ، وكنا نجد السير خلف د. (سامى) الذى
كان أكثرنا لياقة ..

أخيراً كان هناك تمثال جميل لـ (بومبيي) سلط
الضوء من أسفل على وجهه ليبدو رهيباً .. وركع
(سامي) على ركبته أسفل التمثال وهتف بنا أن ننظر ..
حقاً كان هناك ما يستحق النظر .. كانت هناك
جثة .. والجثة كانت لرجل غارق في الدماء ..

هكذا وجدت أن على أن (أعمل منظر) كما
يقولون ، وأزحت الرجال جانباً باعتباري الطبيب
الوحيد هنا .. وشدّدت إذ أدركت أن الميت هو الإيطالي
الذي كان في الحفل منذ دقائق .. في ذكاء قلت لهم :

- « لقد مات .. »

- « أنت عبقرى إذن .. »

هذا الرجل الذي كان يهز الأرض مهابة وقوة
برغم سنه المتقدمة ، تحول بعد دقائق إلى خبر في
صفحة الوفيات وربما الحوادث .. ترى أية عواطف
كانت تختلج في قلبه وهو يعبر الحديقة ثملاً بالحب من

دون طلا ، وهو لا يعرف أنه سيتحول بعد دقيقة إلى
(عاو) يخيفون به الأطفال ؟

كانت هناك جروح غائرة كثيرة فى صدره وبطنه ..
واضح أنه طعن طعنًا حتى الموت .. من فعل هذا
وكيف ؟

كان د. (سامى) يضرب كفاً بكف وهو يوشك
على العويل :

- « لقد انتهى أمرى .. جريمة قتل فى بيتى ؟
فى حديقتى ؟ »

سأله (رمزى) فى هدوء من يداه فى الماء البارد :
- « هل تعرفه ؟ »

- « بالطبع لا .. لا أدرى من أين تأتى هذه الوجوه .. »
قلت لهم :

- « اسمه (باولو) .. وهو غير عربى .. ربما
كان إيطاليًا .. »



كانت هناك جروح غائرة كثيرة في صدره وبطنه .. واضح أنه طعن
طلعنا حتى الموت ..

عاد (رمزي) يسأل :

- « وهل تعرف من فعل هذا ؟ »

قال أحد الرجلين الواقفين اللذين لا أعرفهما :

- « أنا رأيت المشهد من بعيد .. كان يمشى وحده
فى الحديقة شاردًا عندما مر جوار هذا التمثال ،
وفجأة برز له من ورائه عدد من الرجال لا يقل عن
خمسة وانهالوا عليه طعنا .. كان يقول شيئًا ما ،
لكنهم لم يمنحوه فرصة .. جريت مبتعدًا لأحضر
نجدة وحين عدت لم أجد أحدهم .. »

- « كارثة ! فضيحة ! »

كان (سامى) يفقد وقاره بسرعة .. وأدركت أنه
حتى هؤلاء السادة يمكن أن يضطربوا ..

قلت له فى شيء من الحزم :

- « لا داعى لإضاعة الوقت .. هلا طلبت الشرطة ؟ »

- « الشرطة ! فى بيتى ! يا لها من فضيحة ! »

نهضت وأنا أتأمل الجثة الغارقة فى الدماء الممتدة
على الأرض فى الظلام .. هذه جريمة غريبة تنم عن
حقد بالغ .. كانت تكفيه طعنة واحدة .. بل إنه
ليكفيه أن يقال له (بخ) فهذا كان كفىلاً بالقضاء
على قلبه ..

هنا فعل د. (سامى) آخر شىء تصورته .. جذب
ذراعى وقال بلهجة من يدعونا للتعقل :

- « سنبلغ الشرطة .. لكنى لا أرى أن أفسد الحفل
بهذه السرعة .. لقد تعبت أنا و (ثريا) كثيراً فى
الإعداد له ، ولا أريد أن يمتلئ المكان بخبراء
البصمات ، ورجال النيابة يسألون كل واحد من
ضيوفى عن علاقته بالمتوفى .. سننتظر حتى ينتصف
الليل ويبدأ العام الجديد .. كم ساعتك الآن ؟ »

نظرت لساعتى وغمغت فى عدم رضا :

- « العاشرة والنصف .. لكن .. »

- « ساعة ونصف لا أكثر .. فقط ساعة ونصف ..
دع هؤلاء الضيوف يمرحوا ويستمتعوا بوقتهم ، ثم
نطلب الشرطة فى الثانية عشرة .. دعنا نفترض أننا
لم نر الجثة الآن .. »

قال د. (رمزى) فى تفكير :
- « حقا لا أرى ما يمنع من »
صعد الدم إلى رأسى فصحت فى غيظ :
- « هل جننتم ؟ تتركون القتلة يفرون فى هذا الوقت ،
ولربما جعل البرد تحديد وقت الوفاة مستحيلاً .. على كل
من يجد جثة أن يبلغ الشرطة حالاً .. هذا هو مفهومى
عن المواطن الصالح .. »

قال أحد الرجلين الآخرين :
- « لو فكرت فى الأمر دون تعصب يا دكتور (رفعت)
لوجدت أن د. (سامى) لا يطلب شيئاً قاسياً أو مستحيلاً ..
إنه يريد أن يطيل لحظات سعادة ضيوفه لا أكثر .. »
- « دعهم يصابوا بالذعر .. دعهم يموتوا خوفاً
فقد مرحوا بما يكفى .. »

قال الرجل الآخر :

- « ويمكن من هذه اللحظة أن نغلق أبواب الفيلا فلا يسمح لأى كان بمغادرتها .. بهذا أنت واثق من أن من قطعها فى قبضتك .. ونحن جميعاً شهود على حالة الجثة وساعة الجريمة .. »

- « أنت تبألفون فى موضوع راحة الضيوف هذا .. »

هنا قال لى د. (رمزى) موبخاً :

- « للرجل لا يرغب إلا فى تلجىل الفضيحة والضوضاء إلى ما بعد منتصف الليل .. أنت لا تهتم بالحفلات وتريد عمى أى شىء كى يتحول هذا المكان إلى مذبحة .. بصراحة لا أرى أنه يطلب المستحيل .. »

هنا قررت أن أصمت ما دمت أبدو الأحمق المتعصب الوحيد وسط هؤلاء السادة المراقبين .. على كل حال الدار دار (سامى) والمشكلة مشكلته والجثة جثته إن صح التعبير .. أعتقد أنه يرتكب خطأ قانونياً جسيماً ..

- « لكننا لن نتركه راقداً هنا لمجرد ألا نفسد صفاء

ضيوفك .. »

أشار د. (سامى) إلى غرفة صغيرة بين الشجيرات

بدأت كأنما مخصصة كمخزن أو مسكن لبواب صغير الحجم أو كلب عملاق .. وقال :

- « سنضعه هناك ، ثم نعود متظاهرين بالسعادة .. بعد منتصف الليل يمكن لنا أن نملاً الدنيا صراخاً ونلطم الخدود إذا كنت تريد هذا .. واسمحوا لى أن أعدل عن موضوع غلق أبواب الفيلا هذا لأنه يبدو غريباً »
ثم تنهد وقال فى حيرة :

- « فقط لو عرفت فى أية داهية ذهب (عباس) .. إنه يفهم فى هذه الأمور .. »

داهية ؟ لقد تقدم الرجل الراقى المذهب كثيراً وصار يستعمل ألفاظاً سوقية .. ربما لو طالبت الأمسية ومع قتيل آخر ، يبدأ فى استعمال السباب .. وهكذا تعاون الأربعة رجال على حمل الفقيد الذى لم يكن خفيف الوزن بالتأكيد .. كانت الحجرة ضيقة فيها فراش صغير ومن دون ضوء .. تعاونوا على إرقاد الرجل على الفراش ، ووضع د. (سامى) ملاءة كانت هناك على وجهه ..

وهكذا عدنا للحفل وبراءة الأطفال فى عيوننا ، وإن شرخ هدوينا النفسى تماماً التفكير فى أن جريمة

قتل بشعة حدثت على بعد خطوات منا .. لقد كف
د. (سامي) عن أن يكون مرحًا ، وبدأ شارد الذهن
متوترًا ، وكذا كان د. (رمزي) الذي جلس جوار
زوجته على الأريكة ، وراح يلوك ما في طبقه من
طعام شارد الذهن ..

أين (كاتيا) ؟ ماذا لو عرفت ما حدث للرجل
الذي تتودد له تملقًا ومداهنة ؟

ترى هل لها دور في موته ؟ من الواضح أنها لم
تفعل .. لديها حجة الغياب أو ما يسميها القرنجة
باسم Alibi .. فهل من فعل ذلك يمت لها بصلة ؟

★ ★ ★

« المرأة لا تملك عضلات ولا تجيد استعمال
السلاح .. المرأة لا تستطيع للسيطرة على (الأبضاليت) ..
لهذا تملك المرأة سلاحًا واحدًا فتاكًا هو ذكاؤها ..
هو جمالها .. وأنا أستعمل هذا السلاح لأحمي من
أحبهم وأخاف عليهم .. وهذا الـ (باولو) يستطيع

أن يؤذيني ويؤذي أحبائي بشدة لو أراد ، لهذا جعلته
لا يستطيع أن يستغنى عني .. إنه الآن رهن إشارتي
يفعل كما أمره بالضبط .. وهو يلقى لهذا الأمرين
من زوجته ومن أهله .. لكن خمر الحب قد أسكرته
فلا فكاك له .. »

★ ★ ★

كلامها لا يوحى بأنها يمكن أن تقتله .. لقد
ادخرت له مصيراً أسوأ هو دور العجوز الأبله
المفتون بصبية من عمر بناته .. إذن من فعلها ؟
هذا الحفل غريب حقاً ..

وبحثت عنها فوجدتها قد عثرت على صيد جديد ..
هذه المرأة لا تضيع وقتها أبداً .. لكن الفريسة هذه
المرّة كان شاباً وسيماً قوياً له مظهر عسكري
صريح ، وكالعادة لم يبد لي ذا ملامح مصرية ..
وكان يجلس في كبرياء ووقار ، ويتبادل معها الكلام
بينما هي تضحك .. تتراجع للوراء .. تغض عينيها ..

تفتحهما .. تلوح بيدها .. تقهقه .. تبسم .. تنهدت
وقلت لنفسى إن للجمال هبة .. لقد تلاعبت من
دقائق بكهل إيطالى ثرى ، والآن تتلاعب بشاب قوى
يمكنه أن يهشم عنقها بيد واحدة لو كان القتال
بأسلحة متكافئة ..

ولكن ما موضوع هؤلاء الأجانب ؟ هل هذا الشاب هو
الآخر ضمن من يمكن أن يؤذوها لو لم تحسن استخدام
أسلحتها ؟ إذن كل أعدائها أجانب ؟ ما معنى هذا ؟
هنا تكفل ذلك الأخ الثرثار الذى يتكلم جوارى
طيلة الوقت بأن قال لصاحبه :

- « ها هى ذى تحولول إيقاع (ماريو) فى حباتها .. »

- « ومن الواضح أنه وقع مثل (باولو) .. »

فجأة صفر الأول وهو يشير إلى باب القاعة :

- « هل ترى ما أراه ؟ »

على الباب وقف شاب أجنبى المظهر - هو الآخر -
نحيل القوام عصبى لا يوحى بأنه قط وديع .. كان
يضع يديه فى جيبى سترته السوداء ، ويرمق
المشهد وقد تعاقبت على وجهه ألوان الطيف كلها ثم
استقرت عند الأحمر ..

قال الثرثار :

- « هذا أخو زوجة (ماريو) .. إنه (أندريو
كوزاليونى) .. لقد وقع (ماريو) فى شر أعماله
فهذا الفتى لا يمزح .. إنه من أسرة عريقة
أرستقراطية ولن يسمح بهذه الإهانة لأخته .. »

- « ربما يطلق الرصاص عليه .. »

- « لا .. لن يؤذى أخته بهذه السهولة .. أعتقد
أنه سيستشيرها أولاً »

كنت أنا - فى عقلى - أضرب كفًا بكف .. زواج
وطلاق وقتل وخيانات زوجية وزوجات غيورات ..
ما هذا المهرجان ؟ كل هذا فى مكان واحد وفى
ساعة واحدة ؟

وبدا (الفأري لعب فى عبي) إن سمحتم لى بالتعبير ..

هذه دعاية .. د. (سامى) يقدم لنا أغرب فقرة
ترفيه يمكن أن تخطر ببال أحد ، أو ربما هى لعبة
نفسية ما .. إنه يقيس استجاباتنا .. يقولون إن
الطبيب النفسى هو الذى إذا دخلت المكان فتاة حسناء
استدار ليرمق الجالس من حوله .. عين الطبيب
النفسى كالضمير تراقب خلجاتنا وانفعالاتنا .. ربما هو
يعد لدراسة اسمها (الاستجابات المتباينة لمجموعة
غير متجانسة تجاه المشاكل العاطفية والأسرية
للآخرين) .. لم لا ؟

ألم أعدكم أن تكون أسطورة مملة ؟

★ ★ ★

٥ - مشكلة قانونية ولعبة سحرية ..

بحثت عن د. (سامى) لأخبره أننى ببساطة قد فهمت دعابته .. رحت أشق طريقى بين زحام المحتفلين نوى الطراير الذين انغمسوا فى الطعام والشراب .. وعلى المسرح المرتجل ظهرت مطربة نحيلة سمراء ابتسمت فى رقة ، وبدأت الفرقة المكونة من عازفين تعزف تلك الموسيقى الغريبة البسيطة ..

« واحسرتاه على حبيب قر نسانى للأبر .. »

« قر كان لى كل الوجوه .. وكان عنوان الأبر .. »

« لما حرت شزى البخور عليه .. لم يعرف أحر .. »

ما هذا الكلام ؟؟

لا بأس باللحن وبصوتها على الإطلاق .. لكن هذه الكلمات ؟ إنها لا تمت لمفهوم كلمات الأغنية كما أعرفها ،

وعامة هي لا تناسب هذا الحفل .. لكن يبدو أنها
رائعة لأن إحدى السيدات أطلقت صرخة لوعة ،
ونهض رجل أسمر فارغ القامة ملوحاً كأنه يستمع
لإحدى أغنيات (الست أم كلثوم) ..

والفتاة تواصل الغناء بصوتها الساحر .. يبدو أن
(عباس) هو كاتب الكلمات أيضاً ..

كنت أبحث عن د. (سامي) حين استوقفتني
صيحة تدعوني .. كانت هذه مدام (ثريا) زوجته التي
جلست على أريكة واسعة جوار سيدة عجوز وشاب
مفتول العضلات من الطراز المتحمس إياه .. وكان هناك
رجل قصير القامة مسرور من نفسه ، من الطراز ذى
العوينات الغليظة حتى تشعر كأن عينيه ضفدعتان
محفوظتان فى مرطباتين بمعرض كلية العلوم ..

قالت بعد أن قدمتني لهم :

- « مدام (نجوى كاظم) وابنها (شريف) .. وطبعاً
هذا الأستاذ (بدر الصواف) المحامى المعروف .. »

طبعاً لم أكن قد سمعت حرفاً عن الأستاذ (بدر الصواف)
المحامى المعروف .. لكننى تظاهرت بأننى مذهول
للقاءه أخيراً بعد كل ما سمعته ..

- « اجلس .. »

فجلست أنا التمس البائس .. لا أدري لماذا بدأت
أشعر أن يد (بizarro) ليست بهذا السوء ..
قالت لى مدام (ثرى) :

- « تصور .. إن مدام (نجوى) وابنها يواجهان
أغرب مشكلة من جيرانهما .. والأغرب أن هؤلاء
الجيران ليسوا أصحاب العقار أصلاً ، وإنما هم
استولوا عليه بوضع اليد ، بعد هذا يطالبون بحقوق
الجار وأكثر منها .. إنهم يشكون من أن صوت
الثلاجة فى دار آل (كاظم) عال ويضايقهم ! »

بصوت أرسقراطى ثابت قالت مدام (نجوى) :

- « لم أر وقاحة أكثر من هذه فى حياتى كلها ! »

سألتها غير مصدق :

- « طبعًا لم تتخلصى من الثلاجة ؟ »

- « طبعًا لا .. ولو تخلصت منها لبدعوا الكلام

عن صوت قطرات الماء من صنوبر الحمام .. إنهم

لا يشبعون »

عادت مدام (ثرى) تحكى لى القصة الغريبة :

- « كانت هذه هى البداية لقصة طويلة من التحرش ..

لقد حاولت مدام (نجوى) وزوجها تفادى الصدام ،

لكن هؤلاء البلطجية كانوا وقحين وأخذتهم العزة

بالإثم .. المشادات الكلامية تحولت إلى تراشق

بالأيدي ومحاضر فى الأقسام .. ثم جاء اليوم الذى

وجدوا فيه الزوج رحمه الله ملقى فى الشارع ويبدو

أنه مقتول .. لم يكن لدى البائسة إلا أن تتهم

جيرانها لأنه لا أعداء لها .. وبالطبع فشلت الشرطة

فى إثبات التهمة وقيدت الحادثة ضد مجهول .. »

كانت مستمتعة جداً وهى تحكى لى هذه القصة
المرعبة .. كأنها هى (نجوى) والجيران والمحامى
معا .. فلم تترك لأحدهم فرصة الكلام أو التعليق ..

- « الفكرة هنا أن (شريف) مصمم هو ووالدته
على الانتقام لأبيه .. يقول إنه سيذيق هؤلاء
الباطجية الويل .. وأنا أحاول إقناعه بأن القانون لن
يكون فى صفه .. »

نظرت إلى الشاب فوجدت أنه قادر بالفعل على
أخذ حقه .. لكن الأمور ليست بهذه البساطة ..

وقال الأستاذ (بدر) ما لا داعى لقوله لأنه بديهى :

- « لا يمكن أن يأخذ كل إنسان حقه بالقوة ..
إن القانون هو السياسة الوحيدة .. »

ابتسمت السيدة العجوز فى مرارة وقالت :

- « نحن نجرب القانون من زمن وهو لم ينصفنا
قط .. ثم كيف تبرهن بالقانون على ما عجزت
الشرطة عن إثباته ؟ إن قاتل زوجى طليق يمرح
ويطالبنا بالمزيد »

قال المحامى :

- « صبرًا .. هناك حلول قانونية كثيرة .. فقط لو
أنت جلبت ما لديك من أوراق إلى مكتبى .. فلسوف .. »
يتكلم وهو يفتش فى جيبه بحثًا عن بطاقة ، فى النهاية
وجد واحدة فناولها إياها وهو يبتسم باعتداد نفس ..
قالت مدام (ثريا) باسمه :

- « نصيحتى الوحيدة لك يا (شريف) .. العنف
لا يجلب إلا المشاكل .. أعرف أنك حار الدماء ، لكن
نداء العقل فوق كل شىء .. »

كنت أنا اشعر بغصة وتقلص فى معدتى ، حتى
لأوشك على القيء .. كل هذا الانفعال - خاصة مع
وجود جثة فى الحديقة - لا يناسبنى .. وسمعت مدام
(ثريا) تسألنى بطريقتها الأنيقة :

- « وأنت .. لم نسمع رأيك يا دكتور (رفعت) ؟ »

★ ★ ★

(عزمى) بك ما زال جالساً مع المهندس الذى
يصمم له المدفن الآمن الذى سيحميه من اللصوص .. مدفن
سيحسده عليه كل أهل مدينته .. و(كاتيا) اللعوب جالسة
تتناجى مع الإيطالى (ماريو) الذى طار عقله تماماً من
سحرها .. الشاعر مرهف الحس (مراد سليم) يقف يتأمل
الليل من الشرفة ومن حين لآخر يخرج قصاصة ورق
ليدون عليها شيئاً .. بينما مدام (سلوى الصباغ)
لا تكف عن الجدل مع ابنها الغاضب - قليل الأدب
نوعاً - (أكرم) .. ومام (نجوى كاظم) تدبر مع
ابنها (شريف) الانتقام لأبيه ..

يمكن القول إننى صرت أعرف جيداً أهم
الموجودين فى هذا الحفل ، ولست مهتماً بتفاصيل
حياتهم على الإطلاق ، لكنهم صاخبون ويعرضون
مشاكلهم بحيث لا تملك إلا أن تتابعها ..

على المسرح المرتجل وقف أحد الحواة .. كان
رجلاً يلبس الأسود ، ويضع مساحيق كثيفة على
وجهه حتى ليذكرك بمهرجى السيرك نوعاً ، وبرغم هذا

يعتقد أنه يثير الإعجاب ، وكان هذه فرصتنا الوحيدة للاستمتاع بنرجسيته .. وقد أخرج كثيرًا جدًا من اليمام والمناديل وكرات البنج بونج من كميته وأذنيه وطاقتي أنفه .. وراح يؤدي كل هذا بسرعة ليوحى بالاحتراف ، لكنني بصراحة لم أفهم شيئًا من فرط سرعة الأداء ..

وتقدمت فتاتان من الراقصات إياها تحملان صندوقًا أنيقًا مزخرفًا وضعتاه على الأرض أمامه ..

قال في لطف يثير الاشمئزاز كأنه ضفدع لزج :

- « الآن أنا بحاجة إلى واحد من المشاهدين الشجعان كي ينام في هذا الصندوق .. »

تقدم أحد المتظرفين ، ونظر لنا ضاحكًا ، ثم وثب إلى الصندوق وفرد جسده .. لكن الصندوق لم يناسب طوله قط .. هز الساحر رأسه في لطف :

- « لا .. أحتاج إلى متطوع شجاع آخر .. »

يبدو بوضوح هذا الرجل شرييرًا .. وتذكرت التعبير القرآني (يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور) ..

سبحان الله .. هذا هو بالضبط ما يعبر عن عيني
هذا الرجل .. إنهما تخوناته من وقت لآخر خلف
ابتسامته المداهنة ، لتدرك أنه شرير حقًا ..

تقدم متطوع آخر وجرب النوم فى الصندوق .. لا ..
الحجم غير مناسب ..

أشار الساحر إلى رجل يجلس مع زوجته وطفلها
الرضيع ، ودعاه فى لطف إلى أن يجرب ..

فى تردد نهض الرجل وهو يزرر أزرار سترته ..
- « نريد أن نسمع أعلى تصفيق لهذا المتطوع
الشجاع !! »

دوى التصفيق بينما تمدد المتطوع الشجاع برفق
فى الصندوق .. كان الحجم مناسبًا تمامًا .. من ثم
أغلق الساحر الصندوق وهو يدعونا إلى التريث ،
وابتسم ابتسامة مشجعة للرجل الممد بداخله ..

جاءت الفتيات بغطاء سميك من الكتان غطى به
الساحر الصندوق .. طبعًا .. لابد من هذا وحين يرفع

الغطاء نجد الصندوق قد اختفى .. هذه هى التقاليد ..
ولكن كيف ؟ أعرف أنهم فى المسرح يستعملون جبًّا
تحت المسرح ينزلق إليه الصندوق ، ولكن هل هناك
جب تحت فيلا الدكتور (سامى) ؟

« تصفيق حاد للساحر (شندى) !! أوى يى يى ! »

يمط اللفظة الأخيرة كما يفعل مطربو الفرق حين
يستجدون المزيد من التصفيق .. وتعالّت الموسيقى بينما
الساحر يزيل الغطاء لنجد أن الصندوق اختفى بالفعل ..

ومن دون كلام كثير انحنى الرجل والفتيات يحيون
الجمهور فى رشاقة ، ثم هرعوا يتوارون وراء
الكواليس التى هى عبارة عن ستار على جانبى
الردهة المفضية إلى باب الخروج ..

« سأخرب بيتك يا (عباس) لو قابلتك ! »

كانت هذه طبعًا من الدكتور (سامى) الذى أفرغه تحول
بيته الراقى إلى ناد ليلي ، ومرة إلى خيمة لإحدى فرق
المولد الأحمدي .. دعك طبعًا من تحول الحديقة إلى مدفن ..

بدا الجميع منبهرين وعادوا لصخبهم .. لكنى
تساءلت : لماذا لم يرجع الساحر الزوج كأى ساحر آخر
يحترم نفسه ؟ الزوجة أيضاً خطر لها الشئ ذاته ..

نهضت وصاحت بصوتها الرفيع :

- « ولكن ... أين زوجى ؟ »

لكن لا أحد يهتم بما تقول سوى .. تحول
الجمهور كالعادة إلى بقرة غبية عملاقة لها ألف
لسان لكن لا عقل لها ..

- « أين (مصطفى) ؟ أين زوجى ؟ »

كان لها وجه أسمر كالطمي ملئ بالنبل وفيه
قدر هائل من حنان الأمومة .. وعلى هذا الوجه
الحساس تتابعت العواطف : الغباء وعدم الفهم ثم
الحيرة ثم القلق ثم الجزع ثم التوحش الدامع ..
كأنها صورة كمبيوتر من التى يتم فيها على مراحل
مسح صورة رجل لتتحول إلى صورة نمر .. قاسية
جداً هذه اللعبة مع أم ..

- « أين (مصمسي) ؟ أين زوجي ؟ »

ونظرت لى دامعة العينين فقلت لها :

- لابد أنه وراء هذا الستار يا سيدتى .. لابد أنه
حيث توارى الساحر .. »

هرعت تركض إلى هناك ، وطفلها على كتفها
بينما عاد الناس إلى الصخب والمرح ..

على بعد أمتار وجدت د. (رمزي) واقفاً مع
زوجته (ماري) ، لكن نظرة حيرى شاردة كانت فى
عينيه وهو يتابع المشهد .. طبعاً من حقه أن يفقد
مرحه .. ألا توجد جثة فى حديقة الفيللا ؟

لكن تقطبيه جعلنى أدرك أنه يفكر فيما هو أعمق
وأخطر من هذا كله ..

ثم عاد إليه روعه فعاد يثرثر مع زوجته ، وبدا لى
كأنما نسى الأمر برمته ..

ألم أعدم أن تكون أسطورة مملة ؟

★ ★ ★

٦ - المواجهة ..

الآن يتأبط الإيطالى المخدوع أو المفتون - لا أدرى بالضبط - ذراع الساحرة الصغيرة (كاتيا) ، وينهضان نحو المائدة التى رصت عليها أصناف المأكولات .. تبدى هى دلالاً طفولياً كأنما لا تصبر أمام هذه المأكولات ..

تقول له بصوت راقص :

- « حتب جميلة .. حتب فاخرة ! »

فيهمس لها كى تصمت ، ويتناول طبقاً ليضع لها بعض المأكولات فيه ..

ما مضى (حتب) هذه (تنطقها بكسر الحاء والفاء) ؟ هذه المرأة تقول أشياء غريبة أكثر من اللازم ..

هنا قطع على أفكارى أن ظهر الأخ (أنريو كوزليونى)

الذى هو شقيق زوجة (ماريو) نفسه .. كان سمجاً
كالعادة ، وبالطبع حرص على ألا يخرج يديه من جيبه ..
دنا منهما .. وبالطبع بدا الرعب والتوتر على المرأة ،
أما الرجل فقد توتر وجهه وقطب جبينه ..

قال (أندريو) بعربية تشى بأنها إيطالية مثلما
يتكلم البارمان فى أفلامنا العربية :

- « (ماريو) .. أنت تجاوزت الحد .. »

بلغة مماثلة وتحد مماثل قال (ماريو) :

- « (أندريو) .. لا شأن لك بى .. إن أختك معززة

مكرمة وتظفر بما تريد »

- « أنا لا أتحدث عن أختى برغم ما لحق بها

وباسم أسرة (كوزاليونى) من عار لا شك فيه .. أنا

أتكلم عن كرامتنا الوطنية .. هانتذا بدلاً من القيام

بعمل جاد تضيع وقتك مع مصرية لعوب .. والبداهة

أنها تخذعك .. إنها تحاول أن تحطم صفنا وتحطم ما اتفقتنا

عليه من قبل .. »

التصقت (كاتيا) الساحرة بالرجل أكثر ، وبدا أنها خائفة بحق ..

قال (ماريو) :

- « (أندريو) .. أنت شقيق زوجتي التي أحترمها وأحترم اسم أسرتها .. »

- « هذا واضح !! »

- « .. ولا أرغب في أن أخوض معك قتالاً .. لهذا أرجوك .. دعني وشأني .. »

وضع (أندريو) قبضتيه في خصره وقال :

- « لقد مات العجوز (باولو) وقد استحق هذا .. لكن لا تنس أنه هو الآخر قد وقع في شراكها .. كلاهما أحرق نسي كل شيء بمجرد أن رأى عيني هذه للمرأة العسليتين »

هنا تبادلنا نظرة دهشة مع د. (رمزي) .. كيف عرف هذا الرجل أن (باولو) قد مات ؟ لا أحد يعرف سوانا ، فمن ليس منا فهو القاتل بالتأكيد أو كان ضمن القتلة ..

هذا الفتى يعترف إذن بأنه قتل (باولو) ..

كان الواقفون قد بدعوا يحتشدون حول المتعاركين
كلامياً ، وقد ساد جو التوتر القاعة كلها ..

نزع (أندريو) سترته السوداء وتقدم نحو
(ماريو) .. وقبل أن نفهم ما يحدث صفعه على خده ..

- « هذه دعوة للتحدي .. اترك هذه المصرية
اللعب وواجهني كما يفعل الرجال .. هذا لو كنت
تذكر كيف يتعارك الرجال .. »

نزع (ماريو) بدوره سترته وتقدم خطوة للأمام
وقال في شمم :

- « سأريك يا (أندريو) أنني أعرف كيف أقاتل
كالرجال .. »

وكور كل من الرجلين قبضته وراح يتواثب
كالبرغوث متأهباً لتوجيه اللكمة الأولى .. وكان الناس
ينتظرونها في شغف ، لولا أن وثب د. (سامي)
بينهما وصاح :

- « لو سمحتما لى .. هذه دارى وأنا سيدها الوحيد ..
لو لم تتفضلا بمغادرة المكان فلسوف أبلغ الشرطة
وأنا أعنى ما أقول ! »

لم ينظر له أى من الرجلين ، لكنهما ارتديا
السترتين ، وتفاهما بنظرة واحدة .. من الواضح أنهما
سيكملان مابدآه خارج دار هذا الرجل الطيب .. وفى
صمت مشى الاثنان نحو الباب ..

صرخت (كاتيا) وهى تركض نحوهما :

- « (ماريو) ! لا تشتبك معه .. أرجوك ! »

لكنه ابتسم لها فى ثقة .. ومشى مع الآخر
مغادرين الحقل ..

ضاربًا كفاً بكف صاح د. (سامى) :

- « مستشفى الأمراض العقلية الذى أعمل فيه قد تنتقل
إلى بيتى ! إن هؤلاء القوم لا يتمتعون بالرقى على الإطلاق .. »
إنن هو لا يمزح وليست هذه لعبة .. ليست تجربة ..
إنه عصبى إلى درجة تجعلنى أحجم عن سؤاله ..

قلت له فى ثقة :

- « هؤلاء الإيطاليون يعملون جميعاً مع المافيا
لو أنك صدقت الأفلام الأمريكية .. أنت تعرف هذا
الهراء على غرار : أنت أهنت الأسرة ويجب أن تنام
فى قاع المحيط مع الأسماك .. الخ .. »

تنهد فى ضيق ونظر إلى الساعة .. كانت منتصف
الساعة الحادية عشرة .. يبدو أنه صار يتمنى أن
تنتهى هذه الليلة مثلى ..

هنا وهنا فقط ، دخلت الزوجة السمراء القاعة من
أحد أبوابها ، حاملة طفلها على كتفها وراحت تدور
على الجالسين كأنها تتسول :

- « هل رأى أحدكم زوجى؟ هل رأى أحد (مصطفى)؟ »

طبعاً لا رد .. الأمر خطر إذن ..

قلت لـ / د. (سامى) فى ضيق :

- « الأمر خرج من نطاق المجاملة وصار جنوناً ..
يجب أن تبلغ الشرطة حالاً .. »

نظر لى بعينين تعستين لا ، تريان ثم مشى - وأنا معه -
إلى حجرة جانبية صغيرة يبدو أنها عبارة عن مكتب
صغير له .. أوصد الباب كى يمنع كل هذا الصخب
بالخارج من الدخول ، وقال لى :

- « اطلبهم أنت فلم أعد أدرى ما أقول .. »

كان هناك هاتف وردى اللون على المكتب فهرعت
له ، وطلبت الرقم السحرى .. استغرقت وقتًا أطول
من اللازم كى أدرك أنه لا توجد حرارة .. وكان هذا
معتادًا فى السبعينات على كل حال ..

رأى نظرة وجهى وضربتى المتكررة على للزر ففهم ..

- « يا للمصيبة ! »

وجفف العرق على وجهه ، وغادر الغرفة دون أن
يقول لى حرفًا واحدًا ..

لما لم يكن لدى ما أقطه ، غادرت الغرفة ماشيًا ورائه ..

★ ★ ★

رأيته يخرج إلى الحديقة الباردة ، وكان المطر قد
بدأ ينهمر منذراً بتحويلها إلى وحل .. هذا ما كان ينقصنا
من أجل المزيد من البهجة .. إنه يمشى بين التماثيل
متجهاً إلى تلك الحجرة الصغيرة بين الشجيرات ،
التي تصلح لبواب صغير الحجم أو كلب عملاق ..

وقف على الباب ووضع يده على رأسه ، ولم
أفهم ما هنالك ؛ لأننى كنت أراه من ظهره وهو يقف
على الباب المفتوح ، وقد أضاء كشافاً صغيراً من
النوع الذى يوضع فى الجيب ..

دنوت أكثر فسمعتة يقول شيئاً ما عن (عباس)
الوغد الذى اختفى تماماً حين لا يجب أن يختفى ..

وعلى ضوء الكشاف الواهن الضيق رأيت من
فوق كتفه ما رآه ..

كان الفراش خالياً ..

جثة العجوز الإيطالى (باولو) لم تعد هناك ..

شعر بوقوفى خلفه فقال :

- « لقد رحل .. »

- « لاحظت ذلك ، ولا أجد تفسيراً .. »

- « ربما أفاق ونهض .. »

- « نهض ؟ لقد شبع موتاً حين رأيناه .. كانت

هناك طعنتان فى القلب ذاته .. لو كان حياً حين

رأيناه فلا وجود للموت إلا فى خيالاتنا إذن ! »

- « إذن ؟ »

- « لربما سرقه أحد .. أو أخفاه .. قلت لك إن

هؤلاء الإيطاليين يعملون مع المافيا دائماً .. هناك

عدد منهم قتلوه فلا أستبعد أنهم أخفوا جثته كي لا تراها

الشرطة .. لاحظت أن هذا الفتى المدعو (أندريو)

يعرف جيداً أن العجوز مات ، فمن أخبره بذلك ؟ »

لم يرد ، واستدار عائداً إلى الفيلا .. الطريف فى

الأمر هو أنه كف فى الآونة الأخيرة عن اعتبارى

كائنًا حيًا .. إن شروء ذهنه وتوتره جعلاه يعاملنى
كالجماد .. يتركنى متى شاء ، ويقطع كلامى متى شاء ..
ثم سمعنا صخبًا وأنيبًا وضربات مكتومة قادمة
من خارج سور الفيلا ..

نظرنا إلى مصدر الضربات فرأينا .. كان الإيطاليان
(ماريو) و(أندريو) يتقاتلان كما لم يتقاتل أحد من
قبل .. كطفلين انتظرا حتى يغادرا سور المدرسة
راحا يكيلان اللكمات واللططات لبعضهما على الإفريز
المجاور لسور الفيلا من الخارج .. وكان المطر قد
بدأ يبلل ثيابهما ويحيل شعريهما إلى عجين أشقر ..
يوم .. ثمب .. يوم .. طراخ !

أحدهما يسقط فينقض عليه الآخر ، لكن الأول
يتلقاه بركلة فى بطنه ، وهكذا ..

قلت لـ د.د. (سامى) :

- « هل نخرج لنخلصهما ؟ »

- « فليذهبا إلى حيث ألقى .. ما دامنا بعيدين عن دارى
فليفعل ما يروق لهما حتى لو مزق أحدهما الآخر .. »

وجوار السور من الداخل رأيت شبحاً رقيقاً
يتمسك بالقضبان الحديدية ، ويراقب ما يحدث فى
لوعة .. شبحاً بلل المطر ثوب سهرته الخفيف
تماماً ، لكنه لا يشعر بما يدور من حوله ، بل إنه كان
يشارك الرجلين بالتشنج ومن حين لآخر يرفع ساقه
فى صورة ركلة مساندة .. لم يكن القتال بين اثنين
فى الواقع بل بين ثلاثة .. والثالث هو (كاتيا) تقاتل
بالعواطف والانفعالات ..

ما سر كل هذا الحماس ؟
دنوت منها وقلت لها فى أدب :

- « سيدتى .. لا يمكن أن تبقى هنا .. إن الجو ... »

لم تشعر بى حتى اضطرتت إلى أن أضرب كتفها
وأكرر ما قلت ، فاستدارت لى .. هل الذى يبلل
وجهها هو المطر أم الدموع ؟ قالت لى وهى ترتجف :

- « دعنى من فضلك .. لن أتحمل أن يحدث له

شئ ! لقد حدث له كل هذا بسببى أنا .. بسببى ! »



وجوار السور من الداخل رأيت شبحاً رقيقاً يتمسك بالقضبان
الحديدية ويراقب ما يحدث فى لوعه ..

كانت لهجتها قاطعة حتى إننى تراجعته لألحق
بـ/د. (سامى) وأنا أفكر ..

القصة قصة حب إذن ، وليست مجرد وسيلة تحمى
بها الأنثى الضعيفة نفسها من خصوم لا قبل لها بهم ..

ما معنى هذا ؟ هل كانت تخدع العجوز بينما هى
فعلاً تحب هذا الـ (ماريو) ؟ وما معنى كل ما قالته لى ؟

ثم هذا الـ (أندريو) ؟ جميل أن يدافع المرء عن
كرامة أخته .. لكن ليس إلى درجة قتل زوجها
لمجرد أنه يجلس فى حفل مع فتاة أخرى .. هناك
اللوم أو التوبيخ أو حتى إقناع الأخت بالانفصال ..
لكنى لم أسمع عن أخ انتزع حنجرة زوج أخته
لمجرد أنه متحمس ..

لا تفسير .. والأدهى أن الأمطار تزيد الأمور سوءاً ...

ألم أعذكُم أن تكون أسطورة مملّة ؟

★ ★ ★

٧ = اثنا عشر كأسًا ..

الآن كانت مدام (ثريا) زوجة المضيف تجلس إلى جوار مدام (ماري) زوجة الضيف ، تتسليان بشيء من تلك الأشياء التي تكسر بالأسنان وتوضع قشرتها في الأطباق .. أى تلك الأشياء التي صرت أعتبر أكلها بطولة .. قد بدا لى أنهما تستمعان بوقتتهما حقًا ، وكان الفخر جليًا على وجه مدام (ثريا) ، فهي لم تتوقع أن يكون زوجها قادرًا على إعداد حفل مفاجآت بهذا الإمتاع والتشويق .. لقد فاجأ الجميع بمن فيهم هى نفسها ..

سألت الثانية عن زوجها ، فهزت يدها بمعنى أنها لا تعرف-وقالت :

- « يعلم الله إنه شارد الذهن تمامًا .. يبدو أنه أصيب بکراهية المجتمعات منك .. »

قالت لها مدام (ثريا) مصحة :

- « فوبيا المجتمعات .. لا تنسى يا حبيبتي أنك
فى بيت طبيب نفسى .. »

وانفجرت السيدتان ضاحكتين .. فابتعدت وأنا
أشعر بأننى على وشك خنق أحد ..

هنا اصطدمت بالشاعر مرهف الحس إياه .. ماذا
كان اسمه ؟ (مراد سليم) .. كان واقفاً وحده ينظر
إلى المدفأة التى رفض أصحاب البيت إيقادها كي لا يصاب
كل هؤلاء بالالتهاب الرئوى عند خروجهم بعد
منتصف الليل .. لاحظت نصفه السفلى البدين
بالنسبة لنصفه العلوى ، وقلت لنفسى إنه مصاب على
ما يبدو بأحد أمراض الغدد الصماء ، ويدعى متلازمة
(فروليك) .. أو يبدو كأحد المصابين بهذا المرض ..

كان يهمس بصوت مسموع :

« يا سيدى ... »

قليل من الناس يفهم من أنت ..
لأنى وحدى أعرف سرى ..
عرفتك فى كتمان وصمت ..
وحين ذاع سرى .. تنادوا باسمك ..
وكان على أن أدفع الثمن ..
لأن أعداءك حولى كثير ..
ولأن قرارى عسير .. »

ما زلت لا أجده موهوبًا ، لكن عم يتكلم بالضبط ؟
رأى أقف جواره فاتفرجت شفاته الغليظتان ، وبدا
الحزن فى عينيه وقال :

- « هل راقى لك القصيدة ؟ »

كنت ألقى بنفسى على الأرض وأتلقى وأضرب خدى
انبهارًا .. لكنى اكتفيت بأن هزرت رأسى فى وقار ..
هزة معناها قد يكون (رائحة) أو (استمر)
أو (بوسعك أن تعطينا أفضل) ..

ثم ابتعد وهو ما زال يترنم بالمزيد مما يقول ..

شعرت بأن الربيع والبلابل والندى والأنسام
بقربى فنظرت غير فاهم .. كانت زوجته الرقيقة
ترمقه فى مزيج من الحزن والضيق .. شعرت
بالحرج حين تلاقت النظرتان .. هى فهمت أننى
أتأمل زوجها بأكثر مما يبرره الموقف .. لابد أن
خاطراً ما يجول بذهنى ، وهى رغبة على ما يبدو
فى معرفة هذا خاطر ..

قلت لها مدهناً :

- « زوجك شاعر مطبوع يا سيدتى .. »

ابتسمت فى حزن ، وهزت عنقها الطويل وقالت :

- « هو شاعر بالتأكيد .. لكن من دون شعر .. »

ونظرت لى وابتسمت أكثر .. هنا لاحظت ما لم
الحظه من قبل .. غريب أننى لم أرها إلا من الجانب
الأيمن أو من الخلف أو هى مغمضة عينيها .. الآن
ألاحظ أن عينيها اليسرى ليست على ما يرام .. هناك
سحابة بيضاء على القرنية .. يا للخسارة ! الآن أفهم
ماقاله آبائنا عن (الحلو ما يكملش) ..

تأدياً تفاديت إطالة النظر ، وكان اعترافها الصريح
لرجل لا تعرفه قد أثار دهشتي ..

قلت لها :

- « بالعكس .. إن شعره يوحى بجو كوني غامض ،
ولم أسمع مثله من قبل .. »

قالت وهي تنظر نحوه :

- « هذه هي المشكلة .. إنه لا يأتي إلا بالجديد في
كل شيء .. ثورة في ثورة في ثورة ، ولا أحد
يتحمل هذا كله .. لهذا يكسب كل يوم الكثير من
الأعداء .. أحياناً أرى أن الحياة عش دبابير من الخير
عدم معابثتها أو إزعاجها بالركلات .. »

كان الآن يقف مع أمه يثرثران .. وكان مجرد
وجودها قد جعله يستعيد مرجه .. هذا رجل واقع
تماماً تحت سلطة الأم ، وعلاقته بالأنثى هي أن تكون
أماً له .. بينما الزوجة التي لا تستطيع أن تكون أماً
تجد نفسها بالطبع في آخر أولوياته ..

أضافت في شرود :

- « المشكلة الأخرى هي أنه لا يتابع شيئاً مما يحدث حوله .. إن تكون ممتلكاته تضيع وأعداءه يعبثون ، بينما هو غارق في عمله الخاص الذى لن أستطيع فهمه أبداً .. لكنى أظاھر بالفهم .. »

لم أجد ما أقول فابتعدت عنها بعد ما هزرت رأسى فى رفق ..

وفى ركن القاعة وقف مجموعة من الشباب يمرحون ويضحكون بصوت عال .. كانوا جميعاً متشابهين ، ببشرتهم السمراء وقاماتهم الفارعة .. من هؤلاء ؟ ألاحظ أن سمر البشرة أكثر من اللازم هذه الليلة وكلهم غريبو الأطوار ..

وقف شاب وسط المجموعة وقال لهم بصوت عال :

- « إن لقاءنا الليلة هنا لمناسبة تستحق الاحتفال .. منكم من أتى من الصعيد ومنكم من أتى من وجه بحرى .. »

قال أحد الشباب ضاحكاً :

- « وأنت رجل (صا الحجر) بيننا .. »

كانت (صا الحجر) بلدة صغيرة في محافظة الغربية
أقرب إلى قرية ، وكنت أعرفها طبعاً ، لكنى لم أفهم
معنى أنه رجل (صا الحجر) .. على كل حال منظره يدل
على أنه من أعيان تلك البلدة .. وكان ذا قوة شخصية
وسيطرة واضحتين كأنما هو زعيم المجموعة ..

قال لهم وهو يلوح بإصبعه مستدعيًا أحد السقاة :

- « حان وقت أن نحتفل بنخب هذا .. سنشرب

ونأمل أن نظل أصدقاء دائماً .. »

جاء الساقى ، فطلب منه الشاب أن يأتيهم بإبريق
ملئ بالعصير ومعه اثنا عشر كأساً .. وهو مطلب غريب
لم أفهمه .. لم لا يأتى بالكئوس مفعمة من البداية ؟

هكذا عاد الساقى بعد قليل حاملاً صينية تراصت
عليها الكئوس ، فمد كل واحد يده .. أدركت أن هناك

كأسًا ناقصة لما رأيت كل واحد من الشباب يحمل
واحدًا ما عدا هذا الشاب المسيطر ..

- « هاك خذ كأسى .. »

قالها أحدهم وهو يناوله الكأس من يده ، لكن
الشاب اعتذر شاكرًا .. تلفت حوله حتى وجد مظفأة
تبغ من البرونز موضوعة على منضدة ، فأمسكها
وتفحص قاعها ومد بها يده للساقى ضاحكًا :

- « هاك ! إنها نظيفة .. »

واضعًا يده اليسرى خلف ظهره ليوحى بأن الخدمة
خمس نجوم ، قال الساقى بطريقته اللبقة (الفندقية) :
- « لا أرى ما يدعو لهذا يا سيدى .. سأحضر
لك كأسًا حالاً و ... »

- « لا تتعب نفسك .. النتيجة واحدة .. هيا .. »

ومترددًا صب له الساقى بعض العصير فى الوعاء
البرونزى المرتجل .. فرفعه إلى شفتيه ، وكذا فعل الباقون :

- « فى صفة صداقتنا الأبدية .. »

انتهى الشرب .. هنا ألقى أحد الفتية كأسه على
الأرض وصاح فى ذهول :

- « يا إلهى ! هو شرب فى كأس من برونز ..
هل فهمتم ؟ »

تبادل الفتية النظرات فى ذهول .. وأدركت أن
الأمر أخطر من مجرد شرب القصير فى مطفأة تبغ ..

- « أنت تعدت ذلك يا (باسم) !! »

هتف الفتى وهو يمسك كأسه بيديه وفى ذهول :
- « أقسم لكم إننى لم أتعمد هذا .. لقد فعلته
عفوًا .. »

- « بل أنت كاذب .. كل هذه لعبة لفقتها أنت كى
تشرب فى كأس من برونز .. لأنك تعرف ما قيل لنا ..
من يشرب منا فى كأس من برونز سيكون هو صاحب
الكلمة العليا ! »

- « أقسم إننى لم أتمد ذلك .. (باسم الصاوى)
لا يخدع رفاقه »

وقال واحد آخر وهو يكور قبضته غيظاً :

- « كنت دائماً طموحاً ترغب فى أن تكون لك الكلمة
العليا علينا .. لكننا لن نلعب ألعاب الأطفال هذه ! »

دنا منى د. (رمزى) وقد شعر بجو التوتر العام ..
دنا من أذننى وهمس :

- « ماذا هناك ؟ مشاجرة أخرى ؟ »

- « يبدو ذلك .. »

- « إن د. (سامى) - على ما أعتقد - صار أقل
تدقيقاً فى اختيار ضيوفه .. هل نحن فى حفل أم فى
(درب الفتوات) هنا ؟ »

قلت وأنا أتابع ما يحدث عازماً على ألا يفوتنى شىء :

- « إحدى عشرة كأساً والثانية عشرة من البرونز ..
لهذا ينوون معاقبة الفتى الذى تجرأ وشرب فى
البرونز .. هؤلاء القوم مخابيل .. »

لكنى سمعت د. (رمزى) يتنفس بصوت مسموع ..
ثم همس بصوت كالضحك :

- « إحدى عشرة كأسًا ؟ هم م م م ! »

فى هذه اللحظة كانت المواجهة قد بلغت الذروة ..
لقد وقف الفتية فى صلابة وأشار أحدهم إلى الباب :

- « أنت مخادع يا (باسم) .. اخرج من هنا فلا
أحد يرحب بك ، ولا نريد أن نرى وجهك ثانية .. »
قال آخر :

- « عد إلى (صا الحجر) .. أو لو أردت رأى ..
ابتعد عنها أيضًا .. »

لم يجد الفتى المظلوم - أو هكذا أعتقد - مناصًا من
الخروج كاسف البال مدلهما .. مر بنا فتبادل وإيأى
نظرة ثم اتجه للباب .. كاد يصطدم بالمرأة السمراء
التي تحمل طفلًا والتي تبحث كالمجنونة عن زوجها ..
قال له بصوت لواه الدمع :

- « سيدى .. لو قابلت (مصطفى) زوجى بالخارج ،
فلا تنس أن تخبرنى بذلك .. »

نظر لها فى صمت ، ثم انحنى ولثم يدها فى
احترام وغادر المكان ...

- « قال إنه من (صا الحجر) ؟ »

كان هذا صوت (رمزى) الذى كان يتابع المشهد
باهتمام ..

أشرت برأسى موافقاً ، فhez رأسه وعاد لشروود
ذهنه الذى يوترنى .. لكن شيئاً لم يحدث بعد هذا ..
ألم أعدكم أن تكون أسطورة مملة ؟

★ ★ ★

٨ - المزيد من الفرائب ..

منتصف الليل أخيرًا !

بقيت ثوان عليه ، ورأيت من يقف على المسرح
المرتجل ليصيح مع عقرب الثوانى على الساعة
الكبيرة الموجودة على المدفأة :

- « خمسة .. أربعة .. ثلاثة .. »

ومعه تعالى صوت الموجودين يرددون وراءه ما
يقول .. لا أدري ماذا يسعد المرء فى كونه اقترب
عامًا من النهاية ؟ لابد أن هؤلاء القوم يملكون
الكثير من الأعوام إذن ..

- « اثنان .. واحد »

الآن يلامس عقرب الثوانى الرقم الثانى عشر ،
فتنطفئ الأنوار .. تبًا ! كأن ما ينقصنا هو الظلام ..

تعرف الموسيقى لحنًا لا أدري ما هو .. لكن ثقافة هؤلاء القوم عالية .. لابد أنه لحن (رأس السنة) للموسيقار الإيطالي (سباجيتي) ، وأنا لا أعرف لأتني (العرجي) الوحيد في هذا الحفل ..

المهم الآن أنه صار من حقي أن أشكر د. (سامي) وأعود إلى داري .. هل سيطلب الشرطة ؟ لا أدري .. القرار قراره لكن البلاغ سيكون صعبًا من دون جثة ..

في الظلام شعرت بمن يجذبني إليه .. من ؟ لابد أنني بدوت وسيماً في عين واحدة من الحسناوات ، وهي تكره أن يبدأ العام الجديد دون أن أكون جوارها .. يا لها من رومانسية !

لكن الجذبة كانت أقوى من اللازم ، وأخيراً أدركت أن هذه اليد القوية الحازمة هي يد د. (رمزي) الذي عرف مكانى في الظلام لا أدري كيف ..

قال في غيظ :

- « مالك ؟ أتراك نمت بمجرد أن وجدت ظلاماً ؟
يا لك من أحمق ! »

- « لا أرى أنني فعلت كل ما يستوجب هذا السباب ..
إننى ... »

- « انظريا أحق ! انظرا إلى اليمين ! »

ونظرت إلى اليمين فى اللحظة التى عاد فيها
النور الساطع ليحرق شبكيات عيوننا ، وبصعوبة تمكنت
من أن أفتح عيني .. قلت له وأنا أرمش بعيني :

- « ماذا ؟ هل هناك شبح ؟ »

- « تقريباً .. هل ترى هذا الفتى الذى كان مع ثرى
(صا الحجر) ؟ إن عينيه كانتا تتألقان فى الظلام
كميناء ساعتك الفوسفورية ! »

قلت فى غيظ :

- « آه ! لن نعود لهذا لمجرد أنني موجود ..
لا بد أن فى مصر مكاناً يخلو من الأشباح ولو لنصف
ساعة يومياً .. »

- « لا دخل لى بوجودك أو مماتك .. أنا قلت لك
ما رأيته .. »

- « وأنا أقول إنك تتخيل .. »

كانت الموسيقى على المسرح تتعالى كأنه حفل
خيرى للصم .. أو كأن الغرض هو زيادة عدد الصم
على ظهر الأرض .. وتقريباً راح الجميع يرقصون ..
ورأيت الدكتور (سامى) يتلقى كتفاً لا بأس بها ألقت
به إلى الوراء مترين .. جميل أن أحداً لا يعبأ بصاحب
البيت على الإطلاق ، ولو أنه حاول طردهم فليسوف
يطردونه هو .. بشكل ما أرى أنها عدالة شعرية
وأنه يستحق ما يحدث له ..

لكن استلقت نظرى مشهد غريب بعض الشيء ..

إن (كاتيا) ساحرة الرجال قد عادت من الحديقة
أخيراً .. كانت مبللة بالماء كالأسماك ، كاسفة البال
تمشى فى تؤدة وهى تخرق جموع الراقصين كأنما
لا تراهم ..

هرعت لألحق بها وسألتها بصوت عال بسبب للوضاء :

- « هل تريدین شیئا ؟ »

نظرت لى بعینین زرقاوین تجمعان بین التوحش
والحزن .. غریب أن ترى التوحش یسبح فى بركة
من الدموع ، لكن هكذا عیون النساء .. برغم هذا
ما زالت جمیلة ..

قالت فى صوت كالضحیح :

- « مات .. حبیبی (ماريو) قد مات .. قُتل (أندریو)
على الإفريز المبتل وانتهى كل شیء ! »
یا للكارثة ! لو سمعك د. (سامى) لانتحر فوراً !

قلت لها فى رفق :

- « لا تخفى .. سنتصل بالشرطة ، وسوف یأتون به ..
ولكن اسمحى لى .. إن ثیابك مبتلة ، ولا شك أن
الرطوبة بلغت منك نخاع العظام .. ستصابین بالتهاب
رئوى محتوم .. أعتقد أن مدام (ثریا) ستأخذك إلى
حيث تستبدلین الثیاب وتجدين بعض الدفاء .. »

فى توحش وعصبية قالت :

- « من فضلك .. لا تتدخل فى أمورى .. أنا أعرف
كيف أعنى بنفسى .. »
- « ولكن ... »

رفعت رأسها وشمخت بأنفها فى كبرياء وقالت :
- « من فضلك يا سيدى .. أنت كنت كريماً معى ،
فلا تجعلنى أقابل كرمك بوقاحة .. »

تراجعت للوراء ، وقد قررت أنها بالفعل قادرة على
إيذاءى بالكلام لو أصرت أكثر .. أفسحت لها المكان
فتقدمت فى سكون وهى تضم ذراعيها على صدرها
طلباً للدفع ، وسرعان ما غابت وسط الزحام ..
لقد أحببت ذلك الفتى حقاً .. إنه محظوظ .. أعنى أنه
كان محظوظاً ..

بقى أن ننقل الخبر الأسود الكبير للدكتور (سامى) ..
هرعت إلى د. (رمزى) وأخبرته بما حدث ، وأن لدينا
أحد ضيوف الحفل يرقد على الإفريز فاقد الحياة الآن ..

قال وهو يضرب كفًا بكف :

- « هذه ليلة نحس .. أعتقد أن لوجودك دورًا
لا بأس به فى هذا كله .. »

- « عار عليك أن تؤمن بهذه الترهات .. »

وبحثنا عن د. (سامى) فوجدناه يجلس على مقعد
جوار الباب وقد تحول إلى حطام بشرى من فرط
إرهاق وتوتر ، فأخبرته بالقصة كلها عسى أن يصاب
بنوبة قلبية .. لكنه كان راضيًا عن حقيقة أن الرجل
مات خارج أسوار الفيلا ..

- « هو ليس على (قوة المنزل) .. لا دور لى ولا
مسئولية .. »

- « لكن هذا لا يمنع من ضرورة إبلاغ الشرطة بكل
هذه التفاصيل .. »

- « الهاتف ما زال بلا حرارة .. »

- « إذن لدينا عدد لا بأس به من السيارات ..
سيذهب أحدنا للإبلاغ .. »

قال لى وهو يفك ربطة عنقه قليلاً طلباً للهواء :
- « اذهب أنت يا د. (رفعت) .. إننى لا أستطيع ترك
ضيوفى ، ود. (رمزى) ليست معه سيارة .. »
دق قلبى من فرط الحماس ، وصحت وأنا أنهض :
- « وهل تسمح لى بالآ أعود ؟ سأتجه إلى البنسيون رأساً ..
إن لديك عدداً كافياً من الشهود لو كنت تريد بعضهم .. »
- « اذهب إلى حيث ألفت .. »

ثم صاح فى غيظ :

- « لو ظهر (عجل) هذا ألقى لتمنى لو لم تلده أمه .. »
واتطلعت كالصقور - لو كان هناك عصفور أصلع -
أغادر هذا الحفل الشنيع .. خرجت إلى الحديقة الباردة
ومشيت بين التماثيل المضاعة قاصداً البوابة
الرئيسية .. بالمناسبة أين البواب ؟ كيف لم أره طيلة
هذه الأمسية ؟ هو فقط أدخلنى ثم اختفى تماماً ..

لكن البوابة كانت مغلقة .. كان عليها جنزير ثقيل
لا يمكن فتحه إلا بالديناميت أو المفتاح طبعاً ..
وهكذا رحت تحت الأمطار أنادى بأعلى صوتى :

« عم (حمزة) !! عم (حمزة) ! »

لكنه لم يكن هناك .. حتى غرقت طرقت بابها
جيداً لكن لم يبد أن أحداً بها ..

وهكذا عدت مضطرباً إلى داخل الفيلا حيث كان
د. (سامى) جالساً وسط الصخب ، وقلت له إن البوابة
مغلقة ..

- « كيف ؟ ما هذا التهريج ؟ »

- « هذه هى الحقيقة .. لعل البواب أغلقها .. »

- « (حمزة) ليس هنا .. لقد سمحت له بالانصراف

بمجرد بدء الحفل .. إن ابنه مريض فى قريته .. »

- « إذن من فعل ذلك ؟ »



لكن البوابة كانت مغلقة .. كان عليها جنزير ثقيل ، لا يمكن فتحها إلا
بالديناميت أو المفتاح طبعاً .. وهكذا رحلت تحت الأمطار أناذى بأعلى صوتي :
- «عم (حمزة) !! عم (حمزة) !»

نظر إلى الزحام حيث الكل يرقص ويصخب ويتواثب
ويلبس الطرايطير وينفخ البالونات وتلك اللعبة الشبيهة
بلسان الحرباء .. وقال فى إنهاك :

- « أغلقها واحد من هؤلاء ! لقد صارت دائرة
البحث ضيقة ! »

★ ★ ★

آخر من رأيته يغادر الحفل كان ذلك الشاب ذا
الكأس البرونزية ، فهل هو من فعلها ؟ ولماذا ؟
طبعاً لا داعى لأن أقول إن د. (سامى) لم يكن يملك
المفتاح .. لهذا بدا أننا مسجونون إلى ما شاء الله ..
ليس هذا الوضع غريباً فقد اعتدته ، ولكن كيف أفر
من هذا المكان العجيب ؟

قال لى د. (سامى) وقد بدا أن الإنهاك جعله أميل
إلى السخرية واللامبالاة :

- « سنضحك كثيراً حين يحاول هؤلاء تسلق البوابة
الحديدية ! »

- « سيجنون لو عرفوا أنهم محبوسون .. إن عقدة
الأماكن المظلمة تحيل الناس إلى وحوش فاقدة المنطق .. »
قال باسمًا :

- « حين يفيقون من صخبهم يمكنهم أن يتحولوا
إلى وحش .. لكن حتى تلك اللحظة لا يبدو أن أحدهم
يتعجل الرحيل .. »

ثم صافح د. (رمزي) مصافحة صاخبة بأسلوب
(كفك) وهتف :

- « كل عام وأنت بخير يا (أبو رمزي) ! كل عام
وأنت بخير يا (أبو الرفاع) ! العام الجديد يبدأ بداية
واعدة !! »

- « هذه بدايته فكيف تكون نهايته إذن ؟! »

بدأت أحكى لهما القصص الغريبة المتشعبة لكل
الناس في هذا الحفل .. وبدأ عليهما الذهول وهما
يسمعان كل هذا .. الحقيقة إن أحداً لم يمض الوقت كله

يصغى ويشاهد مثلى ، لهذا كانت عندى الصورة كاملة ..
هذه مزية أن تكون زهرة حائط وحيدة ..

فى هذه اللحظة بالذات ظهرت السيدة (نجوى كاظم) ..
كان ابنها (شريف) معها ، وقد بدت على ملامحهما
الجدية والخطورة .. كان ينظر إلى الأرض مصغياً
لكلامها باهتمام وحماس وصدره يعلو ويهبط ..

احتضنته الأم ولثمته على خده وقالت بصوت مسموع :

- « أنت أملى الأخير يا (شريف) بعد أبيك .. اذهب
واثار لكرامتنا .. أنت صعيدى والثار مقدس لدينا »

هز رأسه ولثم يدها ، ثم ابتعد أمام عيني الأم
الشفيفتين .. ابتعد نحو الباب ...

قال د. (رمزى) بصوت عال :

- « البوابة مغلقة من هنا أيها الشاب .. يجب أن
تنتظر ! »

لكنى قلت له همساً :

- « دعه .. هذا الفتى يبحث عن مصيبة ومن الخير أن نتركه .. إنه ذاهب للانتقام ممن قتلوا أباه ، لأن صوت الثلاجة يضايقهم ! وثق أنه سيعرف كيف يخرج حتى لو هشم البوابة تهشيمًا .. »

- « ذاهب لينتقم فى هذا الوقت بالذات ؟ يا أخى لماذا لا ينتظر حتى الصباح ؟ »

- « إنه الحماس كما تعلم .. »

حرك د. (رمزى) أنامله حول جبهته كمن يصف مجنونًا .. ثم تصلب كمن تذكر شيئًا .. ورأيت نظرة جادة خطيرة على وجهه .. هذه النظرة رأيتها أكثر من مرة هذه الليلة حتى صرت أهابها ..
أهابها وأكرهها ..

الم أعدكم أن تكون أسطورة مملة ؟

★ ★ ★

٩ - الراحلة ..

على المسرح المرتجل ظهرت ثلاث راقصات من ذلك الطراز الذى يؤدى حركات رياضية تذكرك بالجمباز .. تصاحبهن موسيقا خفيفة ..

ورأيت ثلاثة رجال أقوياء فارعى القامة سمر الوجوه - كالعادة - يدخلون إلى المكان .. كل شىء يوحى أنهم من الشرطة أو - على أقل تقدير - من الحرس للشخصى .. ولكن من أين جاعوا وكيف لم أرهم من قبل ؟

ونظرت فى دهشة إلى الجالسين .. لقد بدأ الحفل بعدد لا يتجاوز الخمسين ، لكن الآن - ما شاء الله - تكاثر العدد حتى دنا من المائة .. برغم أن هناك من مات ومن اختفى ومن ذهب لينتقم ..

لكن منظر هؤلاء الفتية الظرفاء ليس مما يبعث بالبهجة فى النفوس ..

رأيتهم يمشون فى ثقة .. يتجهون نحو ...

نحو (أكرم) .. هل تذكرونه ؟ الفتى العدوانى المتحمس الذى لا يرضى بكل اللطف والتعقل اللذين تتعامل بهما زوجة أبيه مع الأعداء ..

كان واقفاً ويداه فى جيبي سرواله ، ينتظر هؤلاء الرجال كى يقتربوا منه .. وسمعت أولهم وأقواهم شخصية يقول باحترام :

- « هل ننفذ الآن يا (أكرم) بك ؟ »

- « نعم .. لكن من دون ضوضاء .. »

وتقدم اثنان منهم فى سرعة وحزم ، وغابا وسط الزحام ، وفى اللحظة التالية رأيتهما يقتادان زوجة الأب - مدام (سلوى الصباغ) - بكثير من الاحترام لكن - كذلك - بكثير من الحزم .. لم يجروا أحدهما على معاملتها بقسوة ، لكن قبضة أحدهما على معصمها كانت تشى بما يحدث ..

وقفت المرأة بين الرجلين أمام ابن زوجها ، وفى
مرارة قالت :

- « ستندم يا (أكرم) .. »

لم ينظر لها ، وقال وهو يشعل لفافة تبغ :

- « لن أندم .. لقد حان الوقت كى يتولى الأمور
شخص قوى .. شخص يعرف كيف يبطش ، وأنا
أكره أن أكون تحت إمرة سيدة ضعيفة .. ومن الآن
سيعود لاسم أسرة (الصباغ) مجده القديم .. سنكون
الأغنى والأقوى والأشهر »

- « وماذا سيفعلون بى ؟ »

قال فى وقار وهو ينفث الدخان :

- « لا شىء .. سيتم إبعادك إلى مكان آمن ، وأتولى
أنا كل شىء .. بالمناسبة لقد قمت بإزالة اسمك عن
كل العقارات والبيوت ، ولسوف أوقع باسمى الخاص
فى أى تعامل قانونى من الآن فصاعدًا .. »

- « أنت تتصرف بحماقة الشباب .. »

- « وأنت تتصرفين بتردد الشيوخ .. »

ثم أشار إلى الرجال كي يأخذوها خارج المكان ،
فنظرت له لكن الوقار منعها من أن تقاوم .. رفعت
رأسها في شمم ومشيت معهم متجهة إلى الباب ..

هذا هو واحد آخر سيفادر الفيلا لا يعطى إلا الله كيف ..
ما هذا المشهد الدرامى ؟ وما معناه ؟ والغريب أنه
لم يثر انتباه أحد غيرى ..

الهاتف .. هل عادت الحرارة ؟ لابد من إبلاغ
الشرطة وهى وحدها القادرة على معرفة سر هذا
السيرك العجيب ..

طبعًا لم أبحث عن د. (سامى) ، وهرعت إلى
الحجرة الصغيرة الجانبية التى كان فيها الهاتف ..
لحسن الحظ أن الباب غير موصد ..

عالجت الباب ، ودخلت إلى الظلام ..

هناك شخص ما ..

أنثى على وجه التحديد ؛ لأننى أسمع الأتین وأشم
رائحة عطر فاغم مسكر ..

بحثت يدي عن مفتاح النور .. ها هو ذا .. من الغبى
الذى وضع المفتاح على هذا البعد عن الباب كى ... ؟

فيما بعد قرأت أن كاتب الرعب الأشهر (ستيفن كنج)
يترك أضواء شفته مضاعة ، كى لا يعود إليها فى
الظلام ليبحث عن مفتاح النور .. عندها يشعر باليد
الباردة على يده !!

حسن .. يمكن القول إنه بعيد النظر ..

هذه (كاتيا) ..

كانت جالسة إلى المكتب الصغير ، وقد غطى شعرها
وجهها فبدت كمدمنى المخدرات فى أفلامنا العربية ..
وكانت فى أسوأ حل .. رأسها يترنح كأنما وزنه قطار ..
رأنتى ففتحت عينين حمراوين عن آخرهما وقالت :

- « أنت من جديد ؟ أنت كالكابوس لا تنتهى أبدا .. »

ثم انفجرت فى ضحكة متوحشة مجنونة وقالت :
- « لكنى لن أراك ثانية حتى لحظة البعث .. »
ولما رأت على وجهى مخايل الغباء قالت فى خبث :
- « حفاو ! حفاو ! »

ثم سقطت على الأرض كأنها دمية ماريونيت
انقطعت خيوطها ..

ولم أحتج إلى كثير جهد كى أعرف أنها ماتت ..

★ ★ ★

هل هؤلاء إسرائيليون ؟ هل هذه المرأة بالذات
إسرائيلية ؟

لغات قليلة جداً فى العالم تستعمل الحاء بالإفراط الذى
تستعمله هذه المرأة .. والأغلب أنها لغات سامية .. منها
العربية والعبرية والفارسية .. وكانت أذن الحساسة
لا تترتاح كثيراً لحرف الحاء فى لفظة (حفاو) هذه ..
أنت تعرف كيف تبدو العبرية لمن يسمعها .. لها رنين
مقبض كأنه نجمة داود ذاتها ..

هل هؤلاء القوم غريبو الأطوار إسرائيليون ؟
لا أظن .. ليس عليهم تلك المسحة العبرانية المميزة
لليهود الشرقيين ، ولا هم يبدوون أجانب ..

ما معنى هذا ؟

طبعًا لم أكن أفكر فى هذا وأنا جالس أشرب الشاى
وأدرس جثتها .. كنت أفكر فى هذا كله وأنا أهرع
بين الغرف بحثًا عن د. (سامى) تعس الحظ ..

أخيرًا وجدته وكان واقفًا مع زوجته مدام (ثرىا)
يتهامسان .. واضح أنه يقول لها باختصار : ثمة
شئ غير مريح فى هذا الحفل ..

رأى وجهى ، ومعه رأى إشارتى الخفية أن اترك
كل شئ وتعال معى ، وهكذا وضع يده على متصم
الزوجة كى تنتظره ثم لحق بى ، وفى الطريق وجدنا
د. (رمزى) فأخذناه معنا ..

القوم حولنا عابثون لاهون حتى إننى افترضت
أنه يمكن أن نخرج الجثة لنلقياها فى الشارع دون أن
يسألنا أحد عما نفعل ، لكن لم يكن ثمة داع لهذا طبعًا ..

وفى الحجرة كانت الجنة - التى كانت لحساء - مكومة
جوار المكتب شاخصة العينين ..

تقريبًا لطم د. (سامى) خديه .. وراح يردد :
- « يا سلام ! ما أجمل هذا ! جنة ثالثة ! يا له
من حفل ! »

أما (رمزى) فقال بكل هدوء واضعًا يده فى الماء
البارد :

- « ما سبب الوفاة يا د. (رفعت) ؟ »

صحيح .. هذا سؤال وجيه ..

ركعت جوار الجنة وتفحصتها بسرعة .. لا يوجد
ما يريب .. قلت وأنا أنفحص المعصمين :

- « من الصعب أن تجزم بون تشريح .. لكن تصرفها
غير الطبيعى وحالة الجنون التى كانت فيها توحى
لى بأنها تعاطت جرعة زائدة من مخدر ما .. »

- « هذا جميل .. لكن أين هو ؟ »

- « فى معدتها طبعًا .. كيف تتوقع أن تجده ؟ »

عاد (رمزى) يسألنى فى تدقيق :

- « هل قالت شيئًا قبل وفاتها ؟ »

- « لا أذكر .. كانت مجنونة .. ثم قالت شيئًا على

غرار ح .. حصاو .. حصاوى .. حلاو .. »

- « ما معنى هذا ؟ »

أشرت إلى السماء إشارة ذات معنى .. علم هذا
عند الله ..

تساءل د. (سامى) وهو يجفف عرقه :

- « ولماذا انتحرت الحمقاء ؟ »

قلت فى ثقة :

- « ومن قال إنها انتحرت ؟ ربما لم تحسن تقدير
الجرعة .. ولو كانت انتحرت فطبعًا لأن الأخ (ماريو) قد
مات .. هذا هو الجزء الواضح من الموضوع .. »

هنا ركع د. (رمزى) على الأرض ، ونظر إلى
ما تحت المكتب فى اهتمام .. ثم نهض وقال :

- « هذه المرة لا أرى أن ننقل الجثة من مكانها ..
سنتركها هنا ونغلق الباب جيداً .. لن نظل هنا للأبد ،
ولسوف يأتى رجال الشرطة ويفسرون لنا كل شىء .. »

وخرجنا من الغرفة محمى الأذان مرتبكين حتى
لو أن أحداً رآنا لقبض علينا بتهمة قتل المرأة دون
مناقشة .. وتذكرت كيف كانت تملأ المسرح حبوراً
ودلالاً منذ ساعة تقريباً .. ثم قررت ألا أطلق العنان
لهذه الخواطر ، لأنها قد استهلكت من فرط التريد .. هذه
حقائق مفروغ منها .. فقط هى تذكرنا بمأساتنا الخاصة ..

الواحدة صباحاً ولم يتغير شىء فى الحفل ولا من
فيه ..

ألم أعددكم أن تكون أسطورة مملة ؟

★ ★ ★



هنا ركع د. (رمزى) على الأرض ونظر إلى ما تحت المكتب فى اهتمام ..

١٠ - نخاف أن نفهم ..

فى الواحدة والرابع صباحًا جاعوا لينهوا الأمر ..
جاعوا وفى عيونهم الغضب والرغبة فى الانتقام ،
وكان واضحًا من منظرهم أنهم لا يمزحون ..
جاعوا ولا أدرى من أين دخلوا ولا كيف ..
فقط مشوا وسط الناس ، وكان الحفل قد تحول
إلى فوضى تامة .. كل الطرايطير على الأرض
والأخواب المهشمة والمقاعد التى انقلبت أو تحركت ،
حتى صار المكان بحاجة إلى ديناميت لا تنظيف ..
وكان البعض قد بدأ ينظر إلى ساعته .. البعض
الذين كنا نعرف بالضبط من هم ومن أين جاعوا ،
وأما هؤلاء السمر الذين نبتوا فى المكان فجأة فقد
بدا أنهم سيظلون هنا إلى الأبد ..

رأينا هؤلاء الرجال ، وعددهم لا يقل عن العشرين ..

أصغر واحد فيهم فى حجم باب الغرفة التى تقرأ فيها
هذه الكلمات .. لكنهم لم يكونوا سمر الوجوه .. كان
لهم طابع البحر المتوسط لكنهم بالتأكيد ليسوا عرباً ..

وفى المقدمة - محتفظاً بهيئته وزعامته الواضحة -
رأيت الشاب (باسم) .. هل تذكرون رجل (صا الحجر)
الذى شرب فى كأس برونزية ؟ لقد عاد ..

يبدو أنه استأجر مجموعة من البلطجية من مكان ما ..
ولم أدر أنه من السهل أن تجد بلطجية فى الواحدة
صباحاً ، لكنه فعل ذلك ..

وتصلب الفتية الأحد عشر فى مكانهم ، وكانوا
غارقين فى محادثات ممتعة على ما يبدو ، ثم انتبهوا
حين ساد الصمت .. نظروا لىروا الفتى قادمًا ومعه
رجالاه ، وفى عينه آيات التصميم والتحدى ..

قال لهم فى تودة :

- « لقد عدت ومعى هؤلاء الأصدقاء اليونانيون ..
ولسوف تدفعون الثمن غالياً .. إما أن تقبلوا أن أكون
صاحب الكلمة العليا ، وإما أن يكون انتقامى مريعاً .. »

قال له أحدهم وهو يتظاهر بأنه ليس خائفاً إلى
هذا الحد :

- « (باسم) .. نحن لا نتعامل بالباطجة هنا ..
من الصعب أن تحصل على ما تريد قسراً .. »

- « أنتم طردتموني ظلماً وزعتم أننى كاذب ..
لو أنتم شرفى وشرف أسرتى ، والآن تقولون إن القوة
لن تحقق شيئاً .. هذه نظرية تحتاج إلى برهان .. »

وتأهب الباطجية للقتال متخذين أوضاعاً سينمائية
جميلة .. بعضهم كور قبضته ورفعها فى الهواء ،
وبعضهم أخرج قبضة نحاسية راح يضرب بها
كتفه .. وبعضهم ضغط على زنبرك مديته .. بينما
البعض أخرج شيئاً كالجنزير ..

- « الآن هل ترغبون فى القتل أم تعنون للخضوع لى؟ »

تبادل الشبان النظرات . كان من الواضح أنهم
سيستسلمون ، لكنهم فقط تمنوا لو كان الاستسلام أقل
خزيًا من هذا .. وبيطء أطرقوا الرعوس ..

قال لهم (باسم) فى شمم :

- « الآن نخرج معاً ، وفى الطريق ستعرفون كيف
أن (صا الحجر) ستبدأ عصرًا جديدًا .. عصرًا
يمكنكم أن تطلقوا عليه العصر (الصاوى) .. »

وهكذا خرج الاثنا عشر رجلاً ، ومعهم (القبضايات)
اليونانيون .. لقد أحدثوا تفريغ هواء لاشك فيه فى
الحفل .. وتنهدت فى ارتياح .. هؤلاء القوم يخرجون
ويدخلون بلا أية مشقة وليتنى أعرف كيف ..

هنا ظهرت السيدة السمراء التى تحمل الطفل
قادمة من الطابق العلوى ، وكانت تردد فى جزع
بعينين حمراوين :

- « ليس هناك .. (مصطفى) ليس هناك ! »

إنها ما زالت تبحث .. ولا ألومها على كل حال ..
لكن خلفها رأيت امرأة تشبهها ، لكنها ليست مريخة
على الإطلاق .. إنها من الطراز الذى (يكيد ولا يكاد) ..
فمن هى ومتى ظهرت فى الصورة ؟

وسمعت من يقول لصاحبه من خلفى :

- « (هالة) أخت زوجها معها .. إنها تكرهها
بجنون ، وتعرف كل تفاصيل الحيلة القذرة التى
دبرها أخوها الآخر .. الأم البائسة لا تعرف أن الساجر
لم يكن سوى أخى زوجها متنكرًا .. إن الساحر قد
خطف أخاه والله يعلم ما فطه به .. تلك النفوس
شريرة بحق .. »

هذا جميل لكنه لا يهمنى على الإطلاق .. ربما يهم
للشرطة لو استطعا الاتصال بها ، وإن كنت أشك فى هذا ..
هذه الليلة لانهاية لها .. لماذا هربت من
(بizarro) ؟ على الأقل هذه أشياء اعتدتها .. يد ميتورة
تطاردك أمرها هين ، لكن ما يحدث الآن يثير الدوار
والصداع ..

جاء د. (رمزى) وزوجته وجلسا جوارى ، وكان
يشرح لها فيما يبدو حقيقة أننا محبوسون هنا لأن
الذعر بدا عليها .. ثم نظر لى وابتسم فى إرهابى وقال :

- « ماذا يحدث هناك يا دكتور ؟ »

- « لاشيء .. ذلك الشاب من (مما الحجر) استعاد السيطرة على الأمور بمساعدة بلطجية يونانيين .. والزوجة مازالت تفتش عن زوجها .. »

- « وماذا عن الشاعر ؟ »

نظرت حولى فى كل مكان فلم أجده .. لكن لا مشكلة هنالك .. هل يمكن العثور على شاعر ؟ ربما كان فى الحديقة ينعم بالمطر ، وربما كان فى الشرفة وربما كان فى دورة المياه .. حتى الشعراء يدخلون دورة المياه أحيانا ..

لكن رأى تغير حين وجدت رجلين أصلعى الرأس يقفان ليتبادلا الحديث الهامس مع (محب) .. ذلك الرجل للقوى الذى يحل مشاكل الشاعر ويقهر له أعداءه .. رأيته يهز رأسه موافقا وعلى ثغره شبح ابتسامة .. من هذان الرجلان ؟ لهما سمات هؤلاء (البانك) الذين تراههم فى الأفلام الأمريكية اليوم ، لكن لم نكن

نعرف موضة كهذه فى السبعينات .. وكاتا شريكين ..
هذا واضح ولا يحتاج لمن يسألنى عن السبب ..

بعد دقائق ظهرت الفاتنة الرقيقة زوجة الشاعر ، وهى
تفتش فى قلق ، وسمعتها تصيح :

« (مراد) ! (مراد !) »

لكن أحداً لم يبال بها .. ومرت بنا ونظرت لى
نظرة متسائلة ثم واصلت البحث ..

تقابلت مع السيدة السمرء التى اختفى زوجها
فتبادلت المرأتان نظرة متفاهمة ، وانطلقت كل واحدة
منهما تبحث عن زوجها فى اتجاه ..

هرعت إلى الرجل القوى (محب) ، وبدأ أنها
تسأله ، بينما هو راح يربت على كتفها مطمئناً .. ثم
انطلق يبحث معها عن زوجها ..

قال د. (رمزى) وهو يتابع المشهد :

- « أعتقد أنهما لن يجدا زوجها أبداً .. »

- « يا أخى حرام عليك .. كن متفائلاً .. »

قال فى ضيق وهو يسترخى فى مقعده :

- « سترى .. لقد اختفى نهائياً .. »

ثم نظر فى عينى والتمعت فى عينيه نظرة لنيمة ،
وقال :

- « هل تريد أن تأتى معى ؟ ثمة شىء أريد أن
نتأكد منه فى تلك الغرفة التى تركنا فيها الجثة .. »

- « أية جثة .. لقد ازداد العدد كثيراً .. »

- « لا تكن طفلاً .. أعنى جثة الراقصة الشابة
التى تحب الإيطاليين .. »

- « لا أفهم .. لكنى سأفعل .. »

ومشينا وسط الناس إلى حيث كان د. (سامى)
يقف أمام الشرفة ، يرمى الليل البارد فى الخارج ،
وهو يتمنى أن يكون هذا كله حلمًا

طلبنا منه مفتاح الغرفة وعدنا إلى هناك وعالجنا
الباب حتى فتحناه ..

كان النور مضاء والجثة ما زالت حيث هى لم تفر
لحسن الحظ ..

من جديد ركع د. (رمزى) على ركبتيه تحت
المكتب وراح ينظر ثم قال لى :

- « أنا لا أرى جيداً فى الظلام .. هل معك قداحة ؟ »

ناولته قداحتى ، فراح يفتش ثم ...

وثب إلى الوراء وسمعنا فحيحاً غاضباً .. س س س
س س س س ! فهتف الرجل :

- « ردى بر حفاو إى باباو ! »

ثم قال لى وهو يشير إلى أسفل :

- « هل ترى ؟ هذا هو سبب الوفاة ! هل تراه ؟ »

لم أكن بحاجة إلى الركوع لأرى ؛ لأن ذيل الثعبان
خرج من جانب المكتب متلويًا ثم عاد إلى الداخل ..

- « كوبرا مصرية ! لم تكن موجودة حين دخلنا
أول مرة ، لأن المرأة كانت تخفيها فى طيات ثيابها ..

وأنت لم تتبين العضة لأنها فى الصدر تحت الثياب ..
الآن برد الجسد وفارقته الكوبرا بحثاً عن جسد آخر ..

- « ما معنى هذا ؟ لا أحد ينتحر بعضة ثعبان ..
ولو حدث فمن أين تأتى به ؟ »

قال وهو يجفف عرقه :

- « قبل أن أجيب عن سؤالك أقول لك إن المرأة
قالت لك (حفاو) .. أليس كذلك ؟ »

- « بلى .. ولكن ... »

- « وكانت قبل ذلك تتحدث عن (الحنقت) و (الحتب)
كما قلت أنت من قبل لى .. »

- « نعم .. لكن لا معنى لهذا .. »

راح يلهث واتسعت عيناه من وراء عويناته وقال
وهو يرتجف :

- « (حفاو) معناها ثعبان .. (حنقت) معناها بيرة
أو جعة .. (حتب) بكسر الحاء والتاء معناها مائدة
تقديم للقرابين .. هل تعرفون بلية لغة ؟ بالمصرية القديمة ! »

تبادلت و (سامى) نظرة غباء مطبق ، بينما
واصل الرجل هלוسته وهو يجفف عرقه :

- « كان ماقلته أنا هو تعويذة فرعونية لمنع
خروج الثعبان من جحره .. ويبدو أنها فعالة !! »

قلت له وأنا أسند ظهري إلى الجدار البارد :

- « كنت أخشى أن تقول هذا .. إن الأمر واضح
لكننا جميعًا نخشى الاعتراف بالحقيقة .. هؤلاء فى
خارج الغرفة هم من قدماء المصريين !! »

ألم أعدم أن تكون أسطورة مملة ؟

★ ★ ★

١١ - لحظة الحقيقة ..

قال د. (رمزى) وقد اندمج تمامًا حتى كدنا ننسى
أننا نتكلم فى غرفة فيها جثة وثعبان :

- « لو أنك تأملت ما حدث هذه الليلة لوجبت عجباً .. »

- « هناك (عزمى) بك الذى يتمنى أن يشيد قبراً
فاخراً يخلد ذكراه .. لقد سرق اللصوص جثة والدته
من مقبرتها مرتين ، وللقبر الذى يتحدث عنه لا مثيل له ..
لا بأس .. كل الشيوخ يتكلمون بالطريقة ذاتها .. لكن
ألا يذكرنا هذا بالملك (خوفو) وحلمه ببناء الهرم
الأكبر ؟ أمه الملكة (حطب حرس) سرق اللصوص
قبرها أولاً ثم مومياءها .. أليس هذا مثيراً .. »

- « لنقل إنها المصادفة .. لكن ماذا عن مدام
(الصباغ) العاقلة الرزينة التى تصر على أن تكون
علاقاتها علاقات حب واحترام مع الآخرين ، بينما ابن

زوجها المتمرد (أكرم) يريد أن تكون علاقته بغيره
قوامها الخوف والبطش.. وفى النهاية يقصّيها ويزيل اسمها
عن كل شيء ، ويبدأ حياة عدوانية تمناها كثيراً .. «
قلت له وأنا أرتجف :

- « نعم .. هذه (حتشبسوت) و (تحتمس الثالث) ..
الملكة التى حاولت أن تكون كالرجال ، وزعمت أنها
ابنة (آمون) نفسه .. لكن (تحتمس) أقصاها
ووزيرها وحكم مصر ، وبدأ عصرًا من الفتوحات ..
لكنه أزال كل ما يدل على اسم (حتشبسوت) على
المسلات والمعابد وكل شيء .. لقد فكرت فى هذا وأنا
أتأمل الصراع .. «

قال د. (سامى) :

- « زوج من المجانين .. لقد صرّتا جنيرين بالدراسة ..
سأقدم عن حالتكما ورقة علمية فائقة النجاح .. «

لم نأبه له وواصلنا تذكر ما حدث الليلة :

- « مدام أخرى هي (نجوى كاظم) التي فقدت زوجها ؛ لأن الجيران بلطجية ويضايقهم صوت الثلاجة .. » - واصل (رمزي) الكلام - « وفي النهاية أقنعت ابنها بأن ينتصر لها ويأخذ بثأر أبيه .. أليست هذه (أياح حتب) وأليس هذا (أحمس) وأليس الأب هو (سقنرغ) ؟ أليس هؤلاء الجيران الوقحون هم الهكسوس الذين زعموا أن أصوات أفراس النهر في الصعيد تضايقهم في الوجه البحري ؟ أليس هذا هو كفاح طيبة ؟ »

أضفت أنا في حماس :

- « إذن ماذا عن الشاعر الحالم الذي تحدى الجميع وغاص في أفكاره الخاصة ؟ دينه يختلف عن دين أبيه .. زوجته الحسنة التي لا يشعر بوجودها وأمه الجميلة المسيطرة و (محب) الذي يجيد كل شيء .. والرجلان أصلعا الرأسين .. في أي شيء يختلف هذا عن (إخناثون) والجميلة (نفرتيتي) ؟ وأمه الملكة (تي) ..

لاحظ تشابه اسم (محب) مع القائد (حور محب) ..
وإذن كان الرجلان من كهنة (آمون) الغاضبين
بسبب انصراف الملك عن معبوده إلى عبادة قرص
الشمس (آتون) ، ويمكن القول إنهما أخذوا
(إخناتون) إلى الصحراء حيث قتلاه ودفناه .. أما الابن
فهو (توت عنخ آمون) طبعًا .. »

- « كنت أتساءل عن البقعة البيضاء على عين
الزوجة اليسرى .. الحقيقة أنها كانت تقلد تمثال
(نفرتيتي) الذي سقطت عينه اليسرى ! هذا نوع من
التلميح لا أكثر .. لسوف يسيطر (حور محب) على
مصر لفترة ، وتموت (نفرتيتي) مقتولة .. كان الشاعر
يقول إنه تحدى الرعاة والدعاة وحسبته يخرف ..
الآن نعرف أنه كان يعنى كل حرف .. رباه !! »

حك د. (رمزي) رأسه وقال :

- « كل الأغنيات الغريبة والرقصات الغريبة طيلة
الأمسية .. كل هذه فرعونية تمامًا ، لكننا خشينا
الاعتراف بهذا .. »

ثم فكر قليلاً وأشار إلى الجثة وقال :

- « الراقصة الفاتنة التى تخرج من بساتن ليسيل لها لعاب شيخ إيطالى .. أليست هى (كليوباترا) التى لم تجد سوى فتنتها كى توقع (يوليوس قيصر) فى حبائلها ؟ بعد هذا أوقعت رومانياً آخر فى حبائلها هو (أنطونيو) ولم يغفر له (أوكتافيوس) هذا .. لقد كان أخا زوجته كذلك ، وجاء له بأسطول جبار والتقى الأسطولان فى موقعة (إكتيوما) وكانت الغلبة فيها لـ (أوكتافيوس) .. معنى هذا أن موقعة (إكتيوما) قد تمت الليلة على الإفريز تحت الأمطار خارج سور الفيلا ! تعود المرأة إلى غرفة منفردة وتُدس ثعباناً فى صدرها وتموت .. لكنها قالت لك كلمة واحدة قبل موتها هى (حفاو) .. يبدو أنها كانت تفرط فى استعمال المصرية القديمة على سبيل انزلاق اللسان .. »

قلت فى حماس :

- « والعجوز الذى قتل تحت تمثال (بومبى) ..
كيف لم نلاحظ هذا من قبل ؟ لقد قتل المتآمرون
(قيصر) تحت تمثال (بومبى) فى روما ، فلم يجد
إلا الوقت الكافى ليقول : (حتى أنت يا بروتوس ؟
إذن فليسقط قيصر !) .. ثم سقط بعد ما تلقى
عشرات الطعنات .. »

ساد الصمت وعقل كل منا يفند ما رآه وما سمعه
فى تلك الليلة .. تلاحقت أنفاسنا واضطرب نبضنا ..

- « اثنا عشر شابًا يشربون فى كنوس بينما أحدهم
يشرب فى كأس من برونز .. هذه قصة (بسماتيك)
وأمرء الأقاليم المصريين .. فيما بعد اتصل
(بسماتيك) بقراصنة مرتزقة من (كريت) وعاد
معهم ليوحد مصر ويجعلها قوية .. وينشئ الأسرة
السادسة والعشرين التى حكمت من مدينة (صاو) ..
أى (صا الحجر) بمحافظة الغربية ! »

هنا تدخل د. (سامى) ليقول فى برود :

- « لحظة من فضلك .. لا يمكن أن نفترض أن المرأة التى ضاع زوجها هى (إيزيس) .. (إيزيس) إلهة وثنية ولم توجد إلا فى الأساطير .. »

قال د. (رمزى) الذى - ولا مراء - كان يلعب فى ملعبه الخاص الآن :

- « لا تنس أن لبعض الأساطير أساسًا تاريخيًا .. (أوزيريس) كان أميرًا أو ملكًا من لحم ودم تأمر عليه أخوه (ست) وتخلص من جثته بعد ما حبسه فى تابوت ، فجابت الزوجة المخلصة أرجاء البلاد تجمع أشلاء زوجها كى يستطيع أن يرى البعث .. فيما بعد خلدت الأسطورة ، واعتبر المصريون (إيزيس) و (أوزيريس) إلهين .. وصار (ست) إلهًا للشر .. »

قلت أنا :

- « وأخت (أوزيريس) الشمطاء كانت (نفتيس) .. بينما الابن هو (حورس) الذى له رأس صقر .. »

صاح د. (سامى) فى جنون وهو يوشك على
الإصابة بفالج :

- « أنتما مجنونان !!! هل تريدان القول إن ملوك
الفراعنة قد جاعوا دارى يتسلون فى ليلة رأس السنة ؟ »

قلت مبتلعا ريقى :

- « نعم .. كل الدلائل تقول ذلك .. »

- « والسبب ؟ »

قال د. (رمزى) :

- « أما هذا فلا يستطيع أحد أن يخبرك به ، ولا أحسبهم
إلا عاجزين عن إخبارك هم أيضا .. »

- « وماذا نعمل ؟ »

قلت وأنا أتجه إلى باب الغرفة :

- « لا أعتقد أن علينا أن نفعل شيئا .. سننتظر .. »

وهم لن يبقوا هنا للأبد .. المهم ألا يشعر ضيوفك
العاديون بشيء أو يتجهوا إلى البوابة الآن .. »

وخرجت من الغرفة .. فقط لاتصلب .. ومن جيبى
أخرجت علبة أقراص النيتروجلسرين ووضعت
قرصين تحت لسانى .. إن ما رأيته ..
رهيب ..

★ ★ ★

كانت الأضواء كلها مظأة فى القاعة كلها ..
وكان الصمت الرهيب يخيم على المكان ..
ثمة مشاعل فى عدة أماكن لا أعرف من أين
جاءوا بها ..

وكان هناك كهنة صلح الرعوس عراة إلا من منزر
حول الخصر ، يحيطون بمائدة البوفيه الطويلة التى
هى عدة موائد متلاصقة .. وفى مركز الصدارة منهم
كان ذلك الشيء المخيف الذى له جسد إنسان ورأس
ابن آوى طويل الخطم .. إنه (أنوبيس) الذى اعتبره
المصريون القدامى مسئولاً عن التحنيط والمقابر ..

رأيت أحد ضيوف الحفل يتقدم فى خطوات
ثابتة .. كان هو (بسماتيك) .. فى وقار تمدد على
المنضدة ووبطء بدأ الكهنة عملية تحنيطه على
ضوء المشاعل ..

إن عملية التحنيط مرهقة تحتاج إلى أربعين
يوماً ، لكنهم كانوا يؤدونها بسرعة كأنما هم يمثلون
لنا ما يحدث .. يملئون الأنف والفم بالكتان المشبع
بالراتنج الأسود ثم يضمدون العينين .. لن أصف
عملية إخراج الأحشاء والمخ ، لأنهم لم يقوموا بها
فعلاً ، لكنهم قاموا بها بشكل رمزى .. ووضعوها فى
الأوعية الكانوبية ..

بعد هذا غطوا الجثة كلها بملح النطرون ، بينما
صوت صلاة غامض ينبعث من لامكان .. ثم غسلوا
الملح مستخدمين عرقى البلح .. وبدءوا يملئون
الفراغات التى لا أدرى متى تكونت بنشارة الخشب
المخلوطة بالراتنج والقرفة والمر ..

الآن يغطون الجثة بالنظرون مع راتنجات صمغية
مثل اللبان الذكر (الكندر) والمر وزيت الأرز ..
وبعدها يلفون الجثة بطبقات الكتان .. الكاهن الذى
يلبس جلد الفهد يتقدم ليلمس بعصاه فم الجثة ،
ويردد بعض الأدعية ، كى يتمكن الميت من فتح فمه
لحظة الحساب .. والدفاع عن نفسه ..

★ ★ ★

« أيها العظيم (بتاح حتب) .. لا تتركنى أيها الأب
الطيب .. كيف يمكن أن تتركنى بعيدة عنك ؟ إبنى أعود
الآن من المدافن وحيدة .. أنت يامن كان يحلولى
الكلام معك صرت الآن صامتاً .. »

ابنة الحكيم (بتاح حتب) ترثى أباه وهى عائدة من المقبرة

★ ★ ★

نظرت للناس فوجئت على رعوسهم للطير .. لم يجسر
واحد على الكلام أو الدهشة أو التساؤل ..

ورأيت الكهنة يضعون الجثة فى تابوت لا أدرى
من أين جاءوا به ، وتقدم بعض الشباب يحملونه
خارجين ببطء من القاعة .. وفى اللحظة ذاتها تقدم
الملك (خوفو) الذى كان (عزى) بك ، لينام على
المنضدة ويمر بهذه الطقوس ذاتها ..

كان ضوء المشاعل خافتًا لكنى بحثت حتى وجدت
د. (رمزى) يرمى المشهد مفتونًا ذاهلاً .. كدت أتكلم
لكنه أخرجنى بإصبع على شفتيه ..

لم تستغرق طقوس تحنيط (خوفو) سوى عشر
دقائق .. كما قلت لكم هم اختصروا الأربعين يومًا فى
عشر دقائق .. ومن بعده جاء دور (إخناتون) ..
واستغرق ثلث ساعة ..

الحن الجنازى مستمر ، والأخ (أنوبيس) يجول
كالشيطان بين الكهنة .. ورائحة البخور تتصاعد إلى
الأنوف حتى لتوشك على فقدان وعيك خدرًا ..

الآن جاء دور (حتشبسوت) فابنها .. ثم (أياح حتب)
فابنها (أحمس) .. ثم (إيزيس) .. ثم (كليوباترا) ..

أخيراً يخرج التابوت الأخير على أكتاف الشباب السمر
الأقوياء .. وأسمع نساء يصرخن ويبكين فى حرقه ..

وساد الصمت إلا من صوت طقطقة الخشب فى
المشاعل ، وأسمع من يقول : أضيئوا الأنوار .. لكن
لم يكن من داع لهذا لأن ضوء الفجر كان قد بدأ
يتسرب إلى القاعة ..

وهرعت إلى الباب فرأيت أن الضباب يملأ الحديقة ..
الضباب والبرد ، لكن المصابيح ما زالت مضاءة تشى
بليلة صاخبة .. ووسط الضباب لمحت آخر تابوت
يذوب على أكتاف حامله ..

وأدركت أن البوابة مفتوحة على مصراعها ..

كان الصمت والوجوم يفعمان القاعة الآن .. لقد بقى
نحو عشرين من الضيوف الطبيعيين يفركون عيونهم ،
ولا يفهمون شيئاً ، لكن الهلع بدأ يلب إلى عيون النساء ..

هنا صفقت بيدي في حماس ورحبت أضحك ..
أضحك أمام العيون التي تظن بي الظنون ..
ثم هرعت إلى د. (سامي) فلثمت خديه في
حرارة ، وصحت :

- « برافو ! كان هذا أروع عرض رأيته في حياتي ..
لقد خدعت الجميع ! كلهم حسب الأمر حقيقياً ! »
وهتف د. (رمزي) الذي التقط الخيط :

- « هذه أروع مفاجأة شاهدها في ليلة رأس السنة
طيلة حياتي .. صدقني .. لقد جربت رأس السنة في
(الدانمارك) و (ألمانيا) و (فرنسا) .. لكني لم أر عرضاً
بهذه القوة وهذه البراعة !! »

لكن صوته كان يرتجف ، ولمحت دمعة رهبة
وتأثر في عينه ..

وسمعت فتاة لبنانية من الضيوف تصرخ :

- « واو ! ما أجملها من سهرة !! »

وفكاة مصرية تصيح :

- « ياى ! أوريجينال ! كلما بدا الأمر مخيفاً كان
أكثر إثارة .. »

أما الرجال فبدعوا يصفقون ، وهرع بعضهم
يصافحون الرجل قائلين إن الأمر بدا حقيقياً إلى حد
أنهم أصيبوا بالهلع .. فكان د. (سامى) يهز رأسه
فى تواضع قائلاً :

- « إنه (عباس) .. لقد وعدنى أن يعنى بالتفاصيل
كلها ! »

وأخيراً بدأ الناس يودعون المضيفين الكريمين
ويرحلون قائلين إنها أجمل ليلة رأس سنة رأوها فى
حياتهم ..

★ ★ ★

وفى العاشرة صباحاً بينما الخدم يزيلون أثر
الغزاة الذى بدا كأن ثوراً دخل معرض الخزف
الصينى ، كما تقول القصة القديمة ، ومعهم مدام (ثرىا)

ومدام (مارى) البائستين طبعًا ، كنا نحن نجلس
فى الحديقة التى غمرتها الشمس أخيرًا .. شمس أول
يوم فى العام الجديد ..

لم يبد لأحدنا أن هذه الليلة كانت حقيقية ، لكن
لا توجد هلوسة جماعية .. ولا يوجد حلم جماعى ..

قال د. (رمى) :

- « لقد صدق الحمقى ما قيل لهم .. »

قلت :

- « لو عرفوا الحقيقة لملئوا الدنيا صراخًا .. ليس
من المستحب أن يعرف الجميع حقائق الأمور .. »

- « نحن لم نعرف شيئًا .. لماذا حدث ما حدث ؟
لو افترضنا أن هؤلاء القوم كانوا أشباحًا أرادت أن
تعيد تمثيل حياتها أمام الناس ، فلماذا اختارت هذه
الفيلا بالذات ؟ »

قال د. (سامى) فى شرود :

- « إنها ليست للمرة الأولى .. هل تذكر يا (رفعت) حلقة الرعب ، و (شكرى) الذى كان يبحث عن التسلية فجاءنا لسمع قصص الرعب منا ؟ ثمة أشياء غريبة تحدث فى هذه الفيلا ولا أجد لها تفسيرًا .. إنها تتمتع بجاذبية غير مسبقة للأشباح والكائنات الغريبة ، وبينى بينكم أعتقد أننى سأتركها . لم أعد أطيق الحياة فيها يوماً آخر .. »

- « لا ألومك .. كما أن فكرة أن أتناول طعامى على مائدة استخدمت للتحنيط ، لا تروق لى كثيراً .. »
وتبادلنا النظرات المتوترة والمنبهرة ..

أخيراً قال د. (سامى) :

- « يمكننا أن ننسى كل شىء عن هذه القصة .. لم يعد لها أثر مادى ولا معنوى .. سنفترض أن هذا كله كان كابوساً جماعياً .. بل هو بالفعل كابوس جماعى وقد صحنونا منه .. »

ساد الصمت لمدة عشر دقائق ، وفجأة سمعنا
صراخاً قادمًا من داخل الفيلا ..

جرينا لنجد أن الخدم يحملون المكاس ويقفون
أمام الغرفة الصغيرة التى انتحرت فيها (كليوباترا)
صباح اليوم .. كانوا ما بين إحجام وإقدام واعتقد
أننى فهمت السبب ..

رأنا أحدهم فصاح فى جزع :

- « لا مؤاخذه يا دكتور .. أم (هند) تزعم أن هناك
ثعبانًا عملاقًا تحت المكتب !! »

★ ★ ★

حين يعدكم (رفعت) إسماعيل بأسطورة مملة
فإنه يعنى ما يقول ..

كما قلت لكم كانت أسطورة مملة .. وقد وفيت
بوعدى ..

حان الوقت الآن لنرجع إلى أساطيرنا التي
(تحبس الأنفاس من فرط الغموض والرعب والإثارة) ..
في القصة القادمة أتحدث عن نبوءة .. وكان صاحبها
عراقاً شهيراً .. لكن ...

ولكن هذه قصة أخرى .

★ ★ ★

د. رفعت إسماعيل

القاهرة

[تمت بحمد الله]

روايات مصرية للحيث

ما وراء الطبيعة

روايات تحبس الأنفاس من فرط

الغموض والرعب والإثارة

• صدر من هذه السلسلة •

- | | |
|-------------------------------|------------------------------|
| 27 - أسطورة رتنا . | 1 - أسطورة مصاص الدماء . |
| 28 - أسطورة آخر الليل . | 2 - أسطورة النداهة . |
| 29 - أسطورة الجاثوم . | 3 - أسطورة وحش البحيرة . |
| 30 - أسطورة بعد منتصف الليل . | 4 - أسطورة أكل البشر . |
| 31 - أسطورة رتها . | 5 - أسطورة الموتى الأحياء . |
| 32 - أسطورة رفعت . | 6 - أسطورة رأس ميدوسا . |
| 33 - أسطورة أرض المغول . | 7 - أسطورة حارس الكهف . |
| 34 - أسطورة الشاحبين . | 8 - أسطورة أرض أخرى . |
| 35 - أسطورة دماء دراكيولا . | 9 - أسطورة لعنة الفرعون . |
| 36 - أسطورة الفصيلة السادسة . | 10 - أسطورة حلقة الرعب . |
| 37 - أسطورة الدمية . | 11 - أسطورة الكاهن الأخير . |
| 38 - أسطورة النصف الآخر . | 12 - أسطورة البيت . |
| 39 - أسطورة التوءمين . | 13 - أسطورة اللهب الأزرق . |
| 40 - وراء الباب المغلق . | 14 - أسطورة رجل الثلوج . |
| 41 - أسطورة فرانكنشتاين . | 15 - أسطورة النبات . |
| 42 - أسطورة الكلمات السبع . | 16 - أسطورة الناهاراي . |
| 43 - أسطورة تختلف . | 17 - أسطورة حسناء المقبرة . |
| 44 - أسطورة رجل بكين . | 18 - أسطورة الغرياء . |
| 45 - أسطورة بيت الأفاعي . | 19 - أسطورة بو . |
| 46 - أسطورة طفل آخر . | 20 - حكايات التاروت . |
| 47 - المنزل رقم (٥) . | 21 - أسطورة عدو الشمس . |
| 48 - المومياء . | 22 - أسطورة المينوتور . |
| 49 - أسطورة العشيرة . | 23 - أسطورة رعب المستنقعات . |
| 50 - في جانب النجوم . | 24 - أسطورة إيجور . |
| 51 - أسطورة الرقم المشنوم . | 25 - أسطورة الجنرال العائد . |
| 52 - أسطورة مملة . | 26 - أسطورة المواجهه . |

سافارى

صدر من هذه السلسلة :

- | | |
|----------------------------|------------------------|
| 12 - أرض الجنون . | 1 - الوباء . |
| 13 - تسى تسى ! . | 2 - خاطفوا الأجساد . |
| 14 - إنهم يعودون أحياناً . | 3 - الحريق . |
| 15 - الرجل الذى لم يكن . | 4 - رقصة الموت . |
| 16 - ٩٩٩ . | 5 - تجربة محرمة . |
| 17 - دواء يقتل . | 6 - أشياء تحدث ليلاً . |
| 18 - عام الأفاعى . | 7 - الآن تراه . |
| 19 - الجمجمة . | 8 - الكابوس . |
| 20 - المرض الأسود . | 9 - الفصيلة . |
| 21 - الماساى . | 10 - العاشر . |
| | 11 - يوم ثارت الوحوش . |

٢٠٠٢/٣٥٠٢

رقم الإيداع : ١٧٧ - ٢٦٦ - ٧٤٥ - ٢